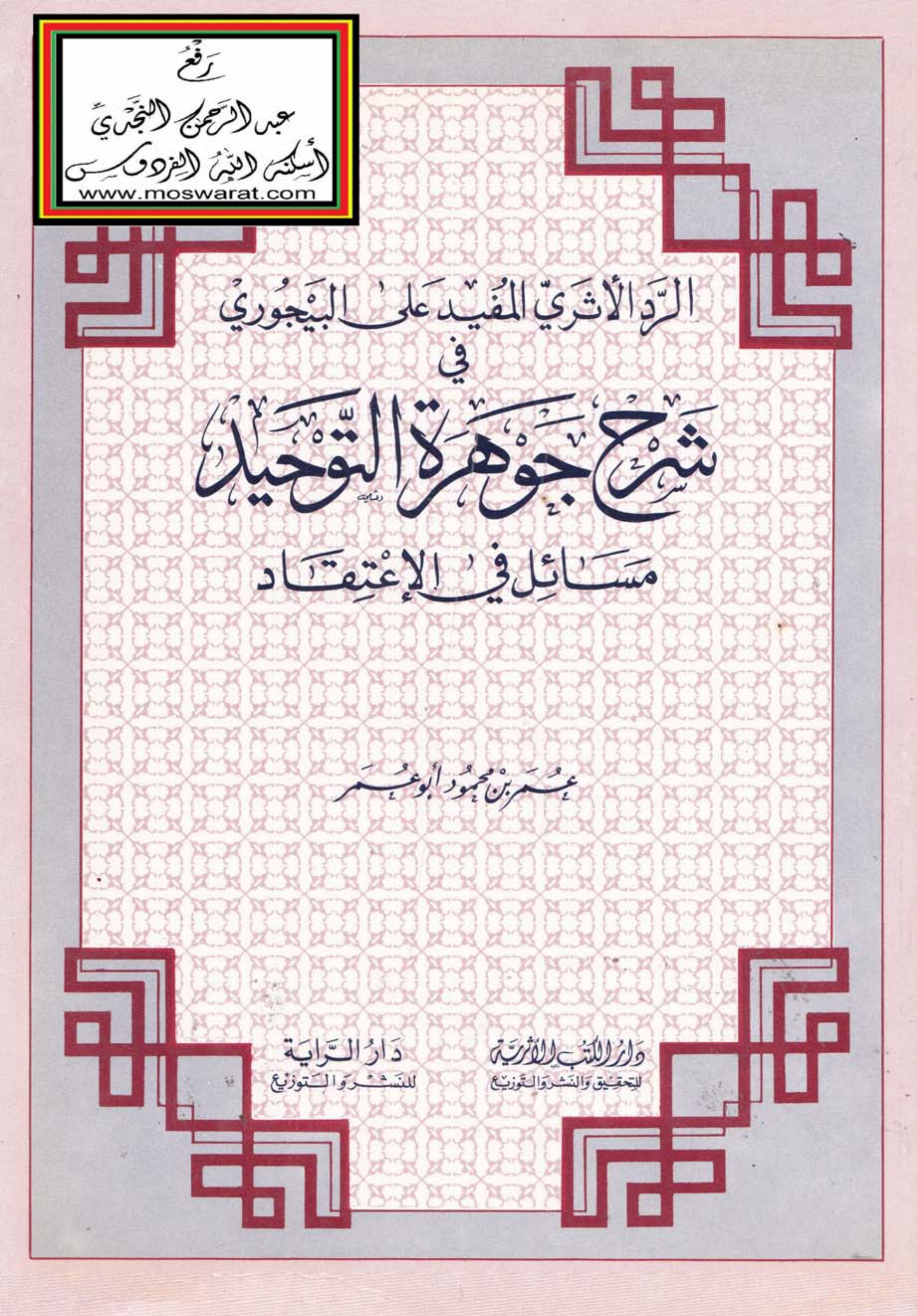


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
الرَّدُّ الأثريّ المُفيد على البَيْجُوري
في
شَرْحِ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ
مَسَائِلُ في الإعْتِقَاد
عُمَر بن محمُود أبو عُمَر
دار الكتب الأثرية
للتحقيق والنشر والتوزيع
دار الراية
للنشر والتوزيع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الرد الأثري المفيد على البيجوري
في
شرح جوهرة التوحيد
مسائل في الاعتقاد

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م

دار الكتب الأثرية
للتحقيق والنشر والتوزيع
تلفون ٩٩٣٨٢١ - ص.ب ٥٣٣٨
الزرقاء - الأردن

دار الراية
للنشر والتوزيع
الرياض - الربوة - طريق عمر بن عبد العزيز
هاتف : ٤٩١١٩٨٥ - مصور (فاكس) ٤٠٦٦٩٤٩
ص.ب : ٤٠١٢٤ - الرمز : ١١٤٩٩ - مبرقة (تلكس) AICO - SJ - 400981

الرَّدّ الأثريّ المفيد على البيجوري
في

# شرح جوهرة التوحيد

مسائل في الاعتقاد

تأليف
عمر بن محمود أبو عمر

دار الراية
للنشر والتوزيع

دار الكتب الأثرية
للتحقيق والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم




# مقـدّمـة المقـدّمـة

قال الإمام الشهير عبد الرحمن بن بطة الحافظ واصفاً حاله مع أهل زمانه «عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين والعارفين والمنكرين فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقاً أو مخالفاً دعاني إلى متابعته على ما يقوله وتصديق قوله والشهادة له. فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك ـ كما يفعله أهل هٰذا الزمان ـ سماني موافقاً وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله ـ سماني مخالفاً وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد سماني خارجياً وإن قرأت عليه حديثاً في التوحيد سماني مشبهاً وإن كان في الرؤية سماني سالمياً وإن كان في الإيمان سماني مرجئياً وإن كان في الأعمال سماني قدرياً وإن كان في المعرفة سماني كرامياً وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر سماني ناصبياً وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضياً وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما سماني ظاهرياً وإن أجبت بغيرهما سماني باطنياً. وإن أجبت بتأويل سماني أشعرياً وإن جحدتهما سماني معتزلياً وإن كان في السنن مثل القراءة سماني شفعوياً وإن كان في القنوت سماني حنفياً وإن كان في القرآن سماني حنبلياً وإن ذكرت رجحان ما ذهب كل واحد إليه من الأخبار ـ إذ ليس في الحكم والحديث محاباة ـ قالوا: طعن في تزكيتهم. ثم أعجب من ذلك أنهم يسمونني فيما

يقرؤون علي من أحاديث رسول الله ﷺ ما يشتهون من هذه الأسامي ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره وإن داهنت جماعتهم أسخطت الله تبارك وتعالى ولن يغنوا عني من الله شيئاً. وإني مستمسك بالكتاب والسنة وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو وهو الغفور الرحيم».

قال الشاطبي عقبها!. هذا تمام الحكاية فكأنه رحمه الله تكلم على لسان الجميع، فقلما تجد عالماً مشهوراً أو فاضلاً مذكوراً إلا وقد نبذ بهذه الأمور أو بعضها لأن الهوى قد يداخل المخالف بل سبب الخروج عن السنن الجهل بها والهوى المتبع الغالب على أهل الخلاف فإذا كان كذلك حمل على صاحب السنة، أنه غير صاحبها ورجع بالتشنيع عليه والتقبيح لقوله وفعله حتى ينسب هذه المناسب [1].

(١) الاعتصام ١/ ٢٨ ـ ٢٩.

# المقـــدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾**، **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾** **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾** .

أما بعد: ـ فإن خير العلوم وأشرفها هو علم التوحيد وأفضل مراتب الجهاد هو الذب عن جناب التوحيد وتصفيته من الشوائب والبدع مما يدخل عليه في غفلة من أهل الحق.

وفي غفلةٍ تولى قيادة هذه الأمة من علماء ومفكرين أقواماً ساروا بالأمة إلى مواطن الهاوية وذلك لبعدهم عن النبع الإسلامي الصافي وحملهم ألوية الزخارف الباطلة والعقائد المتصدعة الهاوية فكان على أهل الإسلام وخاصة أهل السنة والجماعة بيان الحق وسل سيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولما كان أمر هذه الأمة لا يعود إلى سابق عهده من عزة وانتصار إلا بتصفية عقائدهم مما علق بها من شوائب الدخن الباطل كان لزاماً فضح موارد ومظان هذا الدخن.

وبحمد الله عز وجل وطمعاً في تحصيل ما حصله السلف من فضائل غزيرة فإني جعلت همي في باكورة إنتاجي هو تجلية الستار عن مسائل عقدية نسبت إلى الإسلام زوراً وبهتاناً وعن كتب غررت بالمسلمين طويلاً.

فكان هذا النتاج وهو رد على شرح جوهرة التوحيد للبيجوري المسمى تحفة المريد وسميت كتابي ـ الرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد ـ وقد تحريت فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ومناهج علومهم واستدلالاتهم ولا أزعم الكمال ولا القرب منه والتقصير مني محقق وأسأل الله العظيم المغفرة والهداية والقبول.

وكتب

**أبو قتادة**

عمان ـ الأردن

٢٦/ شوال/ ١٤٠٧هـ.




# العقيدة الأشعرية

**من هو الأشعري : -**

أبو الحسن الأشعري هو علي بن اسماعيل بن أبي بشر إسحق بن سالم بن اسماعيل بن عبدالله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى عبدالله بن قيس بن حصار الأشعري اليماني البصري .

ولد سنة ستين ومائتين في البصرة، والتحق بالمعتزلة في صباه ودرس مذهب الإعتزال على أبي علي الجبائي رئيس المعتزلة في البصرة، وبلغ فيهم مبلغ الرئاسة فبرع في معرفة مذهب الإعتزال حتى أن أستاذه كان يقر له في بعض المجادلات والمناظرات حتى بلغ الأربعين من عمره .

واعتزل في بيته عدّة أيام ثم صعد منبر البصرة وقال : إني كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى بالأبصار، وأن الشر فعلي ليس بقدر وإني تائب إلى الله معتقد الرد على المعتزلة .

أما سبب تحوله عن الإعتزال : -

يذكر المؤرخون ثلاثة أسباب لتحوله عن اعتزاليته : -

١ - مناظرة حصلت بينه وبين أستاذه الجبائي جاء فيها : - قالت المعتزلة يجب على الله الأصلح . فقال الأشعري : - بل يفعل ما يشاء، فما تقول في

ثلاثة صغار: مات أحدهم وكبر اثنان فآمن أحدهم وكفر الآخر فما العلة في اخترام الطفل؟ قال: لأنه تعالى علم أنه لو بلغ لكفر فكان اخترامه أصلح له. قال الأشعري: فقد أحيا أحدهما فكفر. قال: ـ إنما أحياه ليعرضه أعلى المراتب. قال الأشعري: فلم لا أحيا الطفل ليعرضه لأعلى المراتب؟ قال الجبائي: وسوست. قال الأشعري: لا والله ولكن وقف حمار الشيخ.

وينقل السبكي مناظرة أخرى في اسماء الله هل هي توقيفية؟

٢ ـ رؤاه: ـ تذكر الكتب أن الأشعري عندما اعتزل بيته رأى النبي ﷺ يدعوه إلى ترك الاعتزال ونصرة أهل الحديث والأثر.

٣ ـ في الوقت الذي كان يدرس الأشعري مذهب الاعتزال كان يدرس الفقه الشافعي على أبي إسحاق المروزي، ومن الإحتمال أن عقلية الإمام الشافعي العظيمة وخاصة أن الإمام الشافعي قد جمع بين الأصول والفروع وتوسط بين أهل الرأي وأهل الحديث قد ساعدت الأشعري على تحوله. وكان الإمام الأشعري عجباً في الذكاء وقوة الفهم وتبحر في العلم وكان فيه دعابة وفرح وكان يقنع باليسير.

توفي رحمه الله في سنة ثلاثين وثلاثمائة[1].

**مراحل عقيدة الإمام الأشعري: ـ**

من المعروف من حياة الإمام الأشعري أنه مرت به ثلاثة أدوار.

---

(١) انظر:

١ ـ سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥ ـ ٩٠.

٢ ـ تبين كذب المفتري ٣٤/ ١٢٨ ـ ١٣٦.

٣ ـ طبقات الشافعية ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١.

٤ ـ تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

٥ ـ العبر ٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

الأول: أنه كان مع المعتزلة في البصرة. الثاني: يقظته لفساد مذهبهم، لكنه دخل معهم في جدل طويل بأساليبهم وأقيستهم مع عدم صفاء التصور وذلك لقرب عهده بهم وقد استمر على ذلك نحو عشرين سنة ألف فيها أكثر كتبه ومن هذا الجدل مع المعتزلة ومن هذه الكتب نشأ المذهب المنسوب إليه وهو الذي فيه الدخن. أما الدور الثالث من حياة الأشعري: فهو الذي ختم الله به حياته بالحسنى بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد واتصاله بأهل الحديث واتباع الإمام أحمد بن حبل وفي هذه الحقبة ألف (مقالات الإسلاميين) والإبانة، ولا شك أن الإبانة من آخر مصنفاته[1].

وما وصل إلينا من كتب الأشعري هي ثلاثة كتب ورسالتان: ـ

الكتب: ـ

١ ـ مقالات الإسلاميين.

٢ ـ الإبانة عن أصول الديانة.

٣ ـ اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع.

أما الرسالتان: ـ

١ ـ رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام.

٢ ـ رسالة كتب بها إلى أهل الثغر بباب الأبواب. وهذه الرسائل والكتب نرى فيها تدرج عقيدة الأمام الأشعري، ونحن نجزم أن آخر ما ألّف هو الإبانة، حيث ظهر في هذا الكتاب عقيدة الإمام عقيدة فيها التأثر الكبير بمنهج السلف وقد صرح فيه في عدّة مواطن بأنه تابع لأهل الحديث والسنة وممثلهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وكانت وسائل الدفاع فيه بالكتاب والسنة.

---

(١) انظر معارج القبول ١/ ٣٤٦.

وهذا الكتاب (الإبانة) بأسلوبه ودلائله كأنه نقض لرسالته (رسالة الاستحسان في خوض علم الكلام) وهي الرسالة التي يحتج بها الأتباع على قبول علم الكلام والذي طعن فيه ورده جمهور الأئمة من السلف والخلف.

**هل الأشاعرة على قول الأشعري: -**

علمنا مما تقدم أن الأشعري مرَّ في عقيدته بثلاث مراحل وإذا أردنا نسبة الأشاعرة إلى إحدى هذه المراحل فإننا نقول جازمين أن هٰذا المذهب المنسوب إليه هو منسوب إلى المرحلة الثانية ومن هنا نعلم أن نسبة الأشاعرة إليه نسبة غير صحيحة.

فحال الأشاعرة وعقيدتهم فيها الخروج عن عقيدة السلف وفيها اتباع الكلام المذموم في دلائلهم وحججهم ولذلك عدّها كثير من أهل العلم من فرق البدع المذمومة: -

١ - روى ابن عبد البر بسنده عن ابن خويزمنداد أنه قال في كتاب الشهادات شرحاً لقول مالك لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء:

قال: أهل الأهواء، عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادى عليها استتيب منها[١].

٢ - قال أبو العباس بن شريح: لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملاحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة[٢].

وكتب شيخ الإسلام طافحة بمثل هذا وأمثاله.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٧.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية/ ٦٢.

ولذلك فبين الأشاعرة والأشعري بون بعيد بل هو بريء منهم وهم منه براء.

**ما سبب انتشار العقيدة الأشعرية:**

لا نجانب الحقيقة إذا قلنا إن كثيراً من المذاهب قد انتشرت تبعاً للمواقف السياسية فقد تدخلت الأهواء السياسية في فرض كثير من المذاهب والعقائد فهذه العقيدة الشيعية (الروافض) قد انتشرت في العراق وإيران بقوة السيف على يد الدولة الصفوية وانتشر المذهب الحنفي لتبني العباسيون هذا المذهب فكان معظم قضاة الدولة منهم والأيوبيون قد نشروا المذهب الشافعي ولو أردنا الإستقصاء لطال المقام[1]. وكذلك كان أمر العقيدة الأشعرية فقد فرضت العقيدة الأشعرية بأمر رسمي أصدره الخليفة العباسي القادر عام ٤٣٣ هـ عرف بالمرسوم القادري ألزم العلماء فيه بالعقيدة الأشعرية وهدد المخالفين بالعذاب والإهانة.

وكان هذا التصرف منه في جملة إجراءات لمواجهة الدولة الفاطمية التي كان خطرها يتعاظم على الدولة العباسية ومما فعله أيضاً أنه شكك بعلوية الدولة الفاطمية فجمع أشراف بغداد وأخذ منهم قراراً بعدم صحة علوية الحكم الفاطمي وقد بلغ خطر الدولة الفاطمية ذروته عندما خرج البساسيري - أكبر قادة بني بويه - عام ٤٥٠هـ على الخليفة العباسي وطرده من بغداد وأقام الخطبة باسم الخليفة الفاطمي المستنصر وضرب العملة باسمه أيضاً ولكن الخليفة العباسي استنجد بطغرل بيك السلجوقي فتدارك الموقف عام ٤٥١هـ وبهذا دخلت الدولة العباسية طور نفوذ السلجوقيين.

---

(١) انظر بدعة التعصب المذهبي/ ٢٢٠.

وقد واجهت القيادة الجديدة الخطر القديم: الدولة الفاطمية والتشيع الفاطمي بأن روجت للعقيدة الأشعرية من أجل مجابهة الدعاة الفاطميين الذين كانوا ينشطون في مناطق الدولة العباسية وأنشأت المدارس من أجل تدريسها، وأبرزها المدرستان النظامية في بغداد والنظامية في نيسابور اللتان أنشأهما نظام الملك أبرز وزراء العهد السلجوقي من أجل تخريج الدعاة ذوي العقيدة الأشعرية لمواجهة الفاطميين.

ثم جاء صلاح الدين الأيوبي وقضى على الدولة الفاطمية واستمر في اعتماد العقيدة الأشعرية على مستوى الحكم لأنه كان قد تلقاها وحفظها على يد أساتذته[1].

(١) في مجال العقيدة/ ٢٢ ـ ٢٤ ـ وانظر مقدمة مقالات الإسلاميين وانظر المنتظم لابن الجوزي ٨/ ١٠٩.




# موقع الجوهرة من العقيدة الأشعرية

كما أن الإمام الأشعري قد مر في مراحل في عقيدته فكذلك كان حَال العقيدة الأشعرية فقد بدأت قريبة من أهل السنة والجماعة ولكن البعد بدأ يزداد والشقة تتسع فكلما جاء عالم من أعلام المتكلمين من الأشاعرة زاد أمراً أو ناقش موضوعاً نراه يشتط في الرأي ويغرب في الدليل حتى صار حال الأشاعرة هو حال أهل الفلسفة ووقعوا في المحظور الذي نهى عنه الأئمة وهو علم الكلام فصاروا أعلام ورجال هذه البدعة بلا منازع وقد وصل هٰذا التطور ذروته سواء أكان من حيث الدليل أم من حيث العقيدة والموضوع عند البيجوري في شرحه على الجوهرة ولذلك إذا قلنا إن البيجوري في شرحه للجوهرة قد جمع سقطة كل أشعري لم نكن مجانبين للحق بل هو لا يغرب بعيداً عن عقائد الاعتزال إلا من حيث الصورة اللفظية كما سنرى في مناقشاتنا لبعض موضوعات الجوهرة الرئيسية.

ومع هذه الطامة التي تميزت بها الجوهرة إلا أنها صارت مورداً لعقائد المسلمين ومصدر التلقي لا يكون إلا منها.

ومن أجل ذلك كان اختياري للجوهرة من أجل مناقشتها والرد عليها فهي عند المتأخرين المعين الذي تستقي منه العقائد ولأن هذا الكتاب صار مصدراً معتمداً في التدريس في المدارس والجامعات الإسلامية

كالأزهر في مصر والزيتونة في تونس وفي كثير من المعاهد الشرعية وحلقات التعليم المتفرقة في بلاد الإسلام.

والخطورة العظيمة مع ما في الجوهرة وشرحها على يد البيجوري من طامات عقدية تخرجها من أن تكون من كتب أهل السنة والجماعة إلا أن كثيراً من طلبة العلم يجهلون خطورتها بل كثير منهم يظن أنها تمثل أهل السنة والجماعة وعقيدتهم فكان لزاماً عليَّ أن أتصدى لهذا الأمر وأكشف عوار مباحثها وعقائدها.

وقد رأى بعض المتأخرين من الأشاعرة أن يختصر الشرح محاولاً إخراج بعض الظامات التي فيها إلا أن الخرق قد اتسع على الراقع كيف لا وهي مليئة مشحونة بمقالات أهل البدع وألفاظ المتكلمين وعقائد المخالفين فلم يغنهم اختصارهم شيئاً ولا مسح السواد عن وجهها القبيح بل زادها ضغثاً على إباله. •

**ناظم جوهرة التوحيد هو: -**

إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، أبو الأمداد برهان الدين - متصوف مصري مالكي نسبته إلى لقانة من البحيرة بمصر توفي سنة ١٠٤١هـ - ١٩٣١م بقرب العقبة عائداً من الحج.

من كتبه:

١ - بهجة المحافل في التعريف برواة الشمائل.

٢ - حاشية على مختصر خليل[١].

**شارح منظومة جوهرة التوحيد هو: -**

إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري (١١٩٨هـ - ١٢٧٧هـ)

---

(١) الأعلام/ ١.

(١٧٨٤م - ١٨٦٠م) شيخ الجامع الأزهـر من فقهـاء الشـافعية نسبتـه إلـى البيجور من قرى المنوفيه بمصر ولد ونشأ فيها وتعلم في الأزهر وكتب حواشي كتب كثيرة منها (حاشية على مختصر السنوسي) في المنطق وتحفه المريد على جوهرة التوحيد.

تقلد مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣هـ واستمر إلى أن توفي في القاهرة[١].

---

(١) الأعلام/ ١.




# ذم السلف لعلم الكلام

إن الله عز وجل قد أكرم هذه الأمة بما هو أقوم لحياتها في دينها ودنياها فأرسل الله سبحانه وتعالى رسوله بالهدى ودين الحق وبمنهج الصواب وكان هذا الدين كما أراد الله عز وجل له موافقاً للفطرة الإنسانية من جميع جوانبها وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يستقون دينهم إلا من مصدري الهدى (الكتاب والسنة).

«فكان النبع الأول الذي استقى منه ذلك الجيل هو نبع القرآن وحده فما كان حديث رسول الله ﷺ وهديه إلا أثراً من آثار ذلك النبع فعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ. قالت: كان خلقه القرآن.

«كان القرآن وحده إذن هو النبع الذي يستقون منه ويتكيفون به ويتخرجون عليه ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة ولا ثقافة ولا علم ولا مؤلفات ولا دراسات. . كلا! فقد كانت هناك حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذي ما تزال أوروبا تعيش عليه أو على امتداده وكانت هناك مخلفات الحضارة الإغريقية ومنطقها وفلسفتها وفنها وهو ما يزال ينبوع التفكير الغربي حتى اليوم. وكانت هناك حضارة الفرس وفنها وشعرها وأساطيرها وعقائدها ونظم حكمها كذلك وحضارات أخرى

قاصية ودانية حضارة الهند وحضارة الصين إلخ وكانت الحضارتان الرومانية والفارسية تحفان بالجزيرة العربية من شمالها وجنوبها كما كانت اليهودية والنصرانية تعيشان في قلب الجزيرة فلم يكن إذاً عن فقر في الحضارات والثقافات العالمية يقصر ذلك الجيل على كتاب الله وحده في فترة تكونه وإنما كان ذلك عن تصميم مرسوم ونهج مقصود يدل على هذا القصد غضب رسول الله ﷺ عندما رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة من التوراة. وقوله: «إنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني»[1].

ولما أرادت عقائد الشرق والغرب الولوج إلى عالم المسلمين تصدى لها العلماء ورفضوها نصاً وأسلوباً.

١ ـ قال الإمام الشافعي: ـ لئن يبتلي العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في علم الكلام[2].

وقال رحمه الله: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام[3].

٢ ـ وقال الإمام أحمد: ـ لا يفلح صاحب كلام أبداً، علماء الكلام زنادقة[4].

٣ ـ قال ابن المبارك: ـ من تعاطى الكلام تزندق.

---

(١) معالم في الطريق ١٥ ـ ١٦.
(٢) الحلية ٩/ ١١١ والإنتقاء/ ٧٨.
(٣) الحلية ٩/ ١١٦ والإنتقاء/ ٨٠.
(٤) مناقب الإمام أحمد/ ٢٠٤.

٤ ـ وقال عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل[١]» .

٥ ـ وقال أبو المعالي الجويني: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بعلم الكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم وخليت لأهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها أناذا أموت على عقيدة أمي أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور»[٢] .

٦ ـ وقال الرازي: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً[٣] .

وقال الوليد بن أياس الكرابيس لما حضرته الوفاة لبنيه: «أتعلمون أن أحداً أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا. قال: أفتتهمونني؟ قالوا: لا. قال: فإني أوصيكم أتقبلون؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم[٤] .

وقال فخر الدين بن الخطيب الرازي: ـ ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ويمنع من التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات وما ذلك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية[٥] .

---

(١) سنن الدارمي ١/ ٩٤.

(٢) شرح الطحاوية/ ٢٢٨ .

(٣) شرح الطحاوية/ ٢٢٨ .

(٤) الروض الباسم ٢/ ١٤ .

(٥) الروض الباسم ٢/ ١٤ .

وقال القرطبي في قوله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم: (إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الخصم) قال: وهذا الخصم المبغوض عند الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالأوجه الفاسدة والشبه الموهمة وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين كخصومة أكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة نبيه وسلف أمته إلى طرق مبتدعة واصطلاحات مخترعة وقوانين جدلية وأمور صناعية مدار أكثرها على مباحث سوفسطائية ومناقشات لفظية ترد بسببها على الآخذ فيها شبه ربما يعجز عنها وشكوك يذهب الإيمان معها وأحسنهم انفصالاً عنها أجدلهم لا أعلمهم فكم من عالم بفساد الشبهة لا يقوى على حلها وكم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها ثم إن هؤلاء المتكلمين قد ارتكبوا أنواعاً من المحال لا يرتضيها البله ولا الأطفال لما بحثوا عن تحيز الجواهر والأكوان والأحوال لأنهم أخذوا يبحثون فيما أمسك عن البحث فيه السلف الصالح ولم يؤخذ عنهم فيه بحث واضح وهو كيفية تعلقات صفات الله تعالى وتعديدها واتحادها في أنفسها وأنها هي الذات أو غيرها إلى ذلك من الأبحاث المبتدعة التي لم يأمر صاحب الشرع بالبحث عنها وسكت أصحابه ومن سلك سبيلهم عن الخوض فيها لعلمهم أنها بحث عن كيفية ما لم يعلم كيفيته فإن العقول لها حد تقف عنده وهو العجز عن التكييف لا تتعداه ولا فرق بين البحث في كيفية الذات وكيفية الصفات ولذلك قال العليم الخبير: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ ولا تبادر بالإنكار فعلى الأغبياء الاغمار[١].

قلت: ـ إن صاحب الشرح البيجوري يعتبر علم الكلام هو علم التوحيد وجعل قضاياه هو البحث عن الواجبات والجائزات والمستحيلات.

وكذلك حاله في كتابه فهو باحث على طريقة المتكلمين معتمداً على

---

(١) الروض الباسم ٢/ ١٦.

أصولهم وأساليبهم وألفاظهم وليس في كتابه إلا قوانين المتكلمين والمنطقيين وأما الكتاب والسنة فهما يشكوان إلى الله ظلمه بل هو يعتبر أن قول من قلد الكتاب والسنة القطعية (كذا) صح إيمانه قول ضعيف[1] .

ولذلك كان هذا الرد رداً أثرياً يعتمد الدليل النقلي من كتاب وسنة في رد البدع والضلال وحاولت جاهداً أن لا أخوض في مهاترات كلامية عقيمة لا تسمن ولا تغني من جوع بل اعتمدت النصوص وهي صاحبة الحق في إثبات العقائد وكنت في ذلك ممتثلاً أمر السلف في النهي عن الجدال والاختصام بالرأي : ـ

١ ـ قال أبو قلابة : إياكم وأصحاب الخصومات فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالاتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون .

٢ ـ وقال رجل لابن عمر: أرأيت . . أرأيت فقال: اجعل أرأيت باليمن إنما هي السنن .

٣ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما اجتمع رجلان يختصمان في الدين حتى يفتريا على الله عز وجل .

٤ ـ وقال مسلم بن يسار : إياكم والجدال فإنها ساعة جهل العالم وفيها يبتغي الشيطان زلته .

٥ ـ وكتب أحدهم إلى أحمد بن حنبل كتاباً يشرح فيه الرد على أهل البدع وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم فكتب إليه الإمام :ـ

بسم الله الرحمن الرحيم : ـ أحسن الله عاقبتك ودفع عنك كل مكروه ومحذور ، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ وإنما الأمور بالتسليم والانتهاء إلى

---

(١) شرح الجوهرة ٣٤/ ٣٥.

ما كان في كتاب الله أو سنة رسول الله لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم فإنهم يلبسون عليك وهم لا يرجعون فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم وضلالهم فليتق الله امرؤ وليصر إلى ما يعود عليه نفعه غداً من عمل صالح يقدمه لنفسه ولا يكن ممن يحدث أمراً فإذا هو خرج منه أراد الحجة فيحمل نفسه على المحال فيه وطلب الحجة لما خرج منه بحق أو بباطل ليزين به بدعته وما أحدث وأشد من ذلك بالحق وبالباطل وإن وضح له الحق في غيره.

ونسأل الله التوفيق لنا ولك والسلام عليك[1].

---

(١) انظر هذه النصوص وأمثالها في علاقة الإثبات والتفويض لصفات رب العالمين ١٣٥ ـ ١٤٠.




# الأشعرية وكلام الله تعالى

مذهب البيجوري أستاذ الأشاعرة في عصرنا ومعلمهم عقائد السلف كما يزعم في شرحه لجوهرة التوحيد يفيض ويسهب في شرح عقيدته في كلام الله تعالى وهو عودة منه إلى طامة كبرى مرت على المسلمين في الأزمان السالفة التي دخلت فيه علينا عقائد اليونان ونفاياتهم وعقائد الهندوس وضلالاتهم باسم الإسلام وعقيدة المسلمين.

فما هي عقيدة البيجوري ومن قبله اللقاني ومن شايعهم من الأشاعرة في كلام الله تعالى: -

يقول اللقاني ناظم الجوهرة: -

ونزه القرآن أي كلامه     عن الحدوث واحذر انتقامه
فكل نص للحدوث دلاّ     إحمل على اللفظ الذي قد دلاّ[1]

ويشرح البيجوري هذا النظم بقوله: - أي واعتقد أيها المكلف تنزه القرآن - بمعنى كلامه تعالى - عن الحدوث، خلافاً للمعتزلة القائلين بحدوث الكلام، زعماً منهم أن من لوازمه الحروف والأصوات، وذلك مستحيل عليه

(١) شرح الجوهرة ٩٣/ ٩٥.

تعالى؛ فكلام الله تعالى عندهم مخلوق، لأن الله خلقه في بعض الأجرام، ومذهب أهل السنة أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق، لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق، ولذلك امتنعت الأئمة من القول بخلق القرآن[1].

ثم قال: في شرحه:

فكل نص للحدوث دلاّ    إحمل على اللفظ الذي قد دلاّ

أي إذا تحققت ما سبق (من التفريق بين اللفظ القرآني ـ والكلام النفسي) فكل نص... إلخ؛ فالفاء فاء الفصيحة، وهذا في الحقيقة جواب عما تمسك به المعتزلة من النصوص الدالة على الحدوث مثل ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر... إنا نحن نزلنا الذكر**﴾ والمراد من النص: الظاهر من الكتاب والسنة؛ وقوله «للحدوث دلاّ» أي دل على حدوث القرآن[2].

ثم قال: «والحاصل أن كل ظاهر من الكتاب والسنّة دل على حدوث القرآن، فهو محمول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفسي، لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم.

هذه الأقوال تبين لنا مراد البيجوري في عقيدته في كلام الله تعالى وهو التفريق بين المعنى واللفظ وأن المعنى هو كلام الله تعالى النفسي القديم وأنه ليس بمخلوق واللفظ القرآني ليس هو كلام الله تعالى بل هو مخلوق وإن كان يصح إطلاق كلام الله عليه ولكن يكون كلام الله هنا مخلوق ولا يقال ذلك إلا في مقام التعليم هذا هو الأمر الأول المراد من كلامه.

---

(١) ٩٣ ـ ٩٤.

(٢) ص ٩٥.

أما المراد الثاني :- فهو أن كلام الله تعالى نفسي قديم ليس بحرف ولا صوت. وصرح بذلك في موطن آخر حين قال: فقد سمع سيدنا موسى كلام الله القديم وهو ليس بحرف ولا صوت[1].

ومن عقيدته كذلك في كلام الله تعالى، قوله : - وهو لم يزل متكلماً أزلاً وأبداً [2].

عقيدة السلف في كلام الله تعالى : -

أ - هل التفريق بين المعنى واللفظ معلوم في كلام العرب وهل الكلام يطلق على اللفظ دون المعنى أو العكس : -

الكلام عند النحاة : - هو اللفظ المركب المفيد بالوضع.

هذا التعريف لمعنى الكلام يدل بعبارته على أن الكلام هو ما اجتمع فيه أمران اللفظ والإفادة [3].

فالكلام هو الملفوظ المنطوق وفيه دلالة على معنى وبهذا يعلم أن لغة العرب لا تفرق بين اللفظ والمعنى حين إطلاق معنى الكلام.

فقولنا كلام الله تعالى : لا بد فيه من أمرين في لغة العرب اللفظ والإفادة (المعنى). ولا يصح فصل أحد الأمرين عن الآخر إلا لسبب لغوي أو شرعي مقبول وإلا بقي الأمر على أصله.

وهذا المذهب الذي ذكرناه من أن كلام الله تعالى هو ما حوى اللفظ

---

(١) شرح الجوهرة/ ٧٣.

(٢) شرح الجوهرة ٧٤.

(٣) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.

والمعنى، فاللفظ القرآني والمعنى المراد من اللفظ هو كلام الله تعالى على الحقيقة هو مذهب السلف قاطبة بلا خلاف وما دخل الخلاف إلا عندما دخل الدخن من عقول الفلاسفة ومنطق اليونان.

ومذهب الأشعرية هو مذهب المعتزلة ولكنه متطور بغرابة غير معقولة ولا مفهومة، وهذا ديدن الأشاعرة في تلفيق مذهبهم في العقائد وتوفيقه بين المتناقضات بما لا يتفق.

فمؤدى مذهب الأشاعرة أن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، وأنه دال على كلام الله وليس هو كلام الله تعالى، لأن كلام الله معنى وليس لفظاً، ومعنى ونفسي ليس بمقروء على الألسن ولا محفوظ في الصدور وليس مكتوب على الأوراق؛ قديم ومعنى قولهم قديم أي أن الله عز وجل لم يزل متكلماً أزلاً وأبداً[1].

بعد هذا الذي بيناه هل في كلام السلف ما يوافقه (وهو أن الكلام لفظ ومعنى حرف وصوت): -

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: وقد نصَّ أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة أن الله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف وصوت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة بأن الله ينادي بصوت وأن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت ليس منه شيء كلاماً لغيره لا لجبريل ولا لغيره[2].

قال أبو المعالي كنت يوماً عند الشيخ أبي البيان رحمه الله تعالى فجاءه

(١) شرح الجوهرة ٧٤.

(٢) الفتاوى ٢/ ٥٨٤.

ابن تميم الذي يدعى الشيخ الأمين، فقال له الشيخ بعد كلام جرى بينهما: ويحك، الحنابلة إذا قيل لهم: ما الدليل على أن القرآن بحرف وصوت؟ قالوا: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا، وسرد الشيخ الآيات والأخبار: وأنتم إذا قيل لكم: ما الدليل على أن القرآن معنى قائم في النفس؟ قلتم: قال الأخطل (إن الكلام لفي الفؤاد) إيش هذا الأخطل؟ نصراني خبيث بنيتم مذهبكم على بيت شعر من قوله وتركتم الكتاب والسنة[1].

وقال أبو أحمد الأسفرائيني: مذهبي ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى وجميع علماء الأمصار أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وأن جبرائيل عليه السلام سمعه من الله عز وجل وحمله إلى محمد ﷺ، وسمعه النبي ﷺ من جبرائيل عليه السلام وسمعه الصحابة رضي الله عنهم من محمد ﷺ، وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله عز وجل ليس بمخلوق[2].

فالقرآن كلام الله لفظاً ومعنى منزّل غير مخلوق وهو المتلو المسموع والمكتوب في المصاحف وتفصيل ذلك على الآتي:

الكلام صفة كمال لأن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ومن يتكلم بمشيئة وقدرة أكمل ممن يكون الكلام لازماً لذاته ليس له عليه قدرة ولا له فيه مشيئة ولذلك فالله عز وجل متكلم حقيقة بكلام هو صفة من صفاته اللازمة لذاته ويتكلم متى شاء بما شاء ولذلك قال تعالى: ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه** ﴾ (الأعراف آية ١٤٣).

والآية تبين وقت الكلام - **ولما جاء موسى لميقاتنا** - ولذلك هو سبحانه

---

(١) مختصر العلو ٢٨٤/ ٢٨٥.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية/ ١١٦

يتكلم متى شاء وصفة الكلام لازمة له أزلية وليس كما قال البيجوري وأشياعه وسلفه، أن الله عز وجل لم يزل متكلماً أزلاً وأبداً ومعنا كلامهم أن الله عز وجل لم يزل ولا يزال أزلاً وأبداً يقول يا موسى يا موسى يا موسى وكلام الله عز وجل يعلم منه أنه حين جاء موسى كلمة فهو سبحانه وتعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومشيئته وقعت حين جاء موسى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ـ وأتباع السلف يقولون إن كلام الله قديم أي لم يزل متكلماً إذا شاء لا يقولون إن نفس الكلمة المعينة قديمة كندائه لموسى نحو ذلك[1].

ومثال ذلك الذي ذكرنا في كتاب الله كثير ومنه قول الله تعالى: ﴿ **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين**﴾ (الأعراف/ ٢٢).

وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا**﴾ (مريم/ ٥٢).

وقد تكلم الله بلفظه ومعناه بصوت نفسه قال تعالى: ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ (التوبة/ ٦). فبين سبحانه وتعالى أن المسموع هو كلام الله تعالى حقيقة وقد سمعه رسول الله ﷺ من جبريل عليه السلام الذي سمعه من الله تعالى ونزل به إليه وأسمعه رسول الله ﷺ لأصحابه وهو الذي أمره الله عز وجل بإسماعه للمشرك المستجير.

وقولهم أن القرآن دال على كلام الله عز وجل وليس هو كلام الله عز وجل بل ليس فيه إلا المعنى القائم بذات الله واللفظ مخلوق فهٰذا يرده قوله

(١) جواب أهل العلم والإيمان ٧٩ ـ ٨٠.

تعالى: ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ (التوبة/ ٦) ولم يقل الله عز وجل: «حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله» والأصل كما يقال هو الحقيقة.

قال شارح العقيدة الطماوية: «وحقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يسمع منه أو من المبلغ عنه فإذا سمعه السامع علمه وحفظه. فكلام الله تعالى مسموع له معلوم محفوظ فإذا قاله السامع فهو مقروء له متلو فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم. وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه. والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا: ما قرأ القاريء كلام الله تعالى وقد قال تعالى: ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ وهو لا يسمع كلام الله من الله وإنما يسمعه من مبلغه عن الله. والآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله فإنه تعالى قال: ﴿ **حتى يسمع كلام الله** ﴾ ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله. والأصل الحقيقة. ومن قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية عن كلام الله، وليس فيها كلام الله فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وكفى بذلك ضلالاً[1].

والبيجوري قال هذا الضلال عندما قال: «واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم، بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى، وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه، وليس لأحد في أصل تركيبه كسب، وعلى هذا المعنى يحمل قول عائشة: ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى. وإطلاقه عليهما: قيل بالاشتراك، وقيل حقيقي في النفسي، مجاز في اللفظي»[2].

أما بالنسبة للأمر الآخر الذي بينه في كلامه أن الله تعالى لم يتكلم

(١) الطحاوية/ ١٩٤.

(٢) الجوهرة ٧٢.

بحرف وصوت ودليله على ذلك لم يفصح عنه وإن كان معلوماً هو أنه نفى ذلك هو وسلفه وأشياعه مخافة التشبيه .

ومذهب السلف في ذلك هو ما ذكره سابقاً شيخ الإسلام ابن تيمية : «وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة أن الله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه ، ونادى موسى بصوت نفسه ، كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف وصوت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة بأن الله ينادي بصوت وإن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت ليس منه شيء كلاماً لغيره لا لجبريل ولا غيره[1] .

والأدلة على ذلك كثيرة من السنن النبوية الشريفة فمنها : ـ

١ ـ قوله ﷺ : ـ «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[2] .

فبين رسول الله ﷺ أن كتاب الله حروف ، وكتاب الله هو كلامه وقد سمى الصحابة آيات الله وكلامه حروفاً ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت هشام بن حزام يقرأ سورة الفرقان فقرأ فيها حروفاً لم يكن نبي الله ﷺ أقرأنيها ، قال : فأردت أن أساوره وأنا في الصلاة فلما فرغ قلت : من أقرأك هذه القراءة . قال : رسول الله ﷺ . قلت : كذبت والله ما هكذا أقرأك رسول الله ﷺ . فأخذت بيده أقوده فانطلقت به إلى رسول

---

(١) مجموع الفتاوى ج ٢/ ٥٨٤ .

(٢) رواه الترمذي عن ابن مسعود دون قوله ولام حرف وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ٤/٣٠٧٥ .

الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنك أقرأتني سورة الفرقان وإني سمعت هذا يقرأ حروفاً لم تكن أقرأتنيها. فقال رسول الله ﷺ: إقرأ يا هشام. فقرأ كما كان قرأ فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال: إقرأ يا عمر فقرأت فقال: هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله ﷺ: إن القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه[1].

والآثار في ذلك كثيرة.

أما أن الله عز وجل يتكلم بصوت وهو ما قدمنا أنه قول السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن تابعهم فأدلته كثيرة منها: ـ

١ ـ قال البخاري في صحيحه في كتاب التفسير في باب قوله: (وترى الناس سكارى) حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم! فيقول: لبيك ربنا وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف ـ أراه ـ قال: تسعمائة وتسعة وتسعين. فحينئذٍ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسع وتسعين. ومنكم واحد. ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا. ثم قال: ثلث أهل الجنة فكبرنا. ثم قال: شطر أهل الجنة فكبرنا ا. هـ.[2].

---

(١) البخاري (٦/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨)، وأحمد (١/ ٢٤ ـ ٤٢ ـ ٤٣)، والنسائي (٢/ ١٥٠ ـ ١٥٢) وغيرهم.

(٢) وأخرجه أحمد (٣/ ٣٢ ـ ٣٣)، ومسلم (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢).

٢ ـ قال البخاري في خلق أفعال العباد: حدثنا داود بن شبيب حدثنا همام حدثنا القاسم بن عبد الواحد حدثني عبدالله بن محمد بن عقيل أن جابر بن عبدالله حدثهم أنه سمع عبدالله بن أنيس رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة[1].

وقال البخاري قبله: ـ وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا وقال عز وجل: ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً**﴾ (البقرة/ ٢٢) ا. هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ـ وذلك أن من آمن بما وصف الله به كلامه، فأقر بأنه جميعه كلام الله، وأقر به كله فلم يكفر بحرف منه، وعلم أن كلام الله أفضل من كل كلام وأن خير الكلام كلام الله، وأنه لا أحسن من الله حديثاً ولا أصدق منه قيلاً، وأقر بما أخبر الله به ورسوله من فضل بعض كلامه، كفضل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد ونحو ذلك بل وتفضيل يس وتبارك والآيتين من آخر سورة البقرة بل وتفضيل البقرة وآل عمران وغير ذلك من السور والآيات التي نطقت النصوص بفضلها وأقر

(١) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد (٣/ ٤٩٥) والحاكم (٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨، ٤/ ٥٧٤ ـ ٥٧٥) وصححه ووافقه الذهبي. وذكره البخاري في صحيحه معلقاً في كتاب التوحيد وأخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (١/ ١٣٣) وقال الهيثمي فيه عبدالله بن محمد ـ ضعيف ا. هـ قلت وفي التقريب صدوق في حديثه لين. قال ابن حجر في فتح الباري (١/ ١٧٤) بأن له طريقاً آخر أخرجه الطبراني في مسند الشاميين وتمام في فوائده من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر بمعناه وقال ابن حجر: إسناده صالح.

بأنه كلام الله ليس منه شيء كلاماً لغيره لا معانيه ولا حروفه فهو أبعد عن جعله عِضين. ا.هـ.[1]

**ـ مسألة**: ـ سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن إمام يقول يوم الجمعة على المنبر في خطبته: إن الله تكلم بكلام أزلي قديم... ليس بحرف ولا صوت، فهل تسقط الجمعة خلفه أم لا؟ وما يجب عليه؟ فأجاب رحمه الله تعالى: الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وأن هذا القرآن الذي يقرأه الناس هو كلام الله، يقرأه الناس بأصواتهم، فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القاريء والقرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه.

وإذا كان الإمام مبتدعاً، فإنه يصلي خلفه الجمعة، وتسقط بذلك. والله أعلم!؟[2].

قال الذهبي رحمه الله تعالى: ـ

وأما داود فقال: القرآن محدث، فقام على داود خلق من أئمة الحديث وأنكروا قوله وبدعوه وجاء من بعده طائفة من أهل النظر فقالوا كلام الله معنى قائم بالنفس، وهذه الكتب المنزلة دالة عليه ودققوا وعمقوا فنسأل الله الهدى واتباع الحق، فالقرآن العظيم حروفه ومعانيه وألفاظه كلام رب العالمين غير مخلوق وتلفظنا به وأصواتنا به من أعمالنا المخلوقة قال النبي ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[3].

وقال أبو أحمد بن الحسين الشافعي المعروف بابن الحداد رحمه الله

---

(١) جواب أهل العلم والإيمان ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) الفتاوى ٢٣/ ٣٦١.

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٣، ٢٨٥، ٣٠٤) وابن ماجة (١٣٤٢) والنسائي (٢: ١٧٩ ـ ١٨٠) والحاكم (١ ـ ٥٧٣) وأبو داود الطيالسي (٧٣٨) وابن حبان (٦٦١٠ ـ موارد الظمآن).

تعالى: «وأن القرآن كلام الله رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم النبيين ﷺ، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيداً، وأنه غير مخلوق، وأن السور والآيات والحروف والمسموعات والكلمات التامات التي أعجزت الأنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ليس بمخلوق كما قال المعتزلي، ولا عبارة كما قال الكلابي، وأنه المتلو بالألسنة المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، المسموع لفظه، المفهوم معناه لا يتعدد بتعدد الصدور والمصاحف والآيات، لا يختلف باختلاف الحناجر والنغمات أنزله إذا شاء»[١].

من أين للبيجوري وأساتذته وتلاميذه هذه العقيدة في كلام الله تعالى؟.

قال شارح العقيدة الطحاوية: ـ بعد سرده هذا القول (وهو أن الكلام معنى نفسي قديم واللفظ المعبر عنه مخلوق) وهنا معنى عجيب، وهو: أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت! فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وأما النظم المسموع فمخلوق، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام، فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه[٢].

ولا تنسى أخي القارىء احتجاج البيجوري وأمثاله على عقيدته بأن الكلام هو المعنى النفسي القديم القائم بالذات بقول الأخطل النصراني المولد:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعِلَ اللسان على الفؤاد دليلاً

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية/ ١٠٤.

(٢) الطحاوية/ ١٩٨.

# البيجوري وحديث الآحاد

البيجوري من قوم لا يحتجون لعقائدهـم إلا بالمتواتـر لأنهـا قطعيـه بزعمهم ولا يقبلون حديث الآحاد لأنه يفيد الظن فقط وهؤلاء القوم يزعمون التوقي لدينهم من الدخـن والتحرز عن اعتقاد الخطأ.

والعجيب من البيجوري الذي يرىٰ أن الكشف أعلى درجات الأدلـة في إثبات العقائد كما فصلنا ذلك في بابه يرفض الأحاديث النبوية الآحادية ويزعم أنها لا تصلح دليلاً للاحتجاج.

فهو يرفض حديث النبي ﷺ النصي أن والده في جهنم لأنه حديث آحاد وهو يرفض حديث إطالة الأجل بصلة الرحم لأنه حديث آحاد ولا يجزم أن للأنبياء أحواض لأنها أحاديث آحاد [1].

وهذه المسألة هي من المسائل التي ظهرت عندما نبتت نابتة السوء في تاريخ الإسلام فدخلت آثار اليونان ونفايات السابقين إلى أُمتنا فصارت مسلمة لا شبهة فيها حتى زعم أقـوام أن الإجمـاع قد انعقـد على أن العقائـد لا يقبـل فيها إلا بالمتواتر قال الشيخ شلتـوت: ـ نصـوص العلماء متكلمـين وأصـوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين فلا تثبت به العقيدة ونجد المحققين من العلماء

(١) انظر شرح الجوهرة ص ٢٩ ـ ١٦٠ ـ ١٨٤.

يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد في شيء منه[1]، فعندما بلغ الأمر بهذه الأمة إلى هذه الحالة، وصار أمر أعلامها وعلمائها إلى تقليد السابقين وترك النصوص والآثار، تغير العقائد ومسخت أصول الإسلام، فصار المنطق اليوناني دثار الأصوليين ومهوى مواردهم.

وهٰذا الأمر ـ وهو ترك الاحتجاج بحديث الآحاد في العقائد ـ صرف الناس عن طريق الهدى والصواب، فتحجمت العقيدة، وقلص التوحيد، فصار أهل الكلام يملؤون مداخل العقيدة بآرائهم ونتاج عقولهم وأهوائهم فخرج الحق من نصله وحل الخبيث بدلاً منه ولعل قارىء شرح جوهرة التوحيد للبيجوري يرى ذلك واضحاً جلياً.

ولأننا في هذه الردود على المذاهب الدخيلة التي تزيت بزي الإسلام وعقيدته فإننا نقتصر في الردود بالأدلة النقلية النصية وبأقوال أهل العلم الموثقين المقبولين بإجماع أهل الأمة.

تحقيق المسألة: ـ التواتر في لغة القرآن والعرب التتابع قل أو كثر قال تعالى: ﴿ **ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه** ﴾.

والمعنى أن الرسل تتابعت إلى أممها وتواترت إليها.

قال الشوكاني: ـ والمتواتر لغة عبارة عن مجيء الواحد بعد الواحد بفترة بينهما مأخوذ من الوتر[2].

وفي الإصطلاح ـ خبر جمع عن جمع محسوس يمنع تواطؤهم على الكذب[3].

---

(1) الإسلام عقيدة وشريعة ٧٤ ـ ٧٦.

(2) الإرشاد ٤٦.

(3) المرجع السابق.

وقيل: هو أن يرويه جماعة عن جماعة مثلها من أول طريقه إليهم قرناً فقرناً حتى يصل إلى الصادر منه إلى المرفوع إليه.

والآحاد هو ما لم يوجد على صفة المتواتر.

ولا يظن ظان أن الآحاد ما رواه الواحد عن واحد إلى النبي ﷺ فليس هذا المراد وإن عد من الآحاد.

والمتواتر عندهم هو أن يبلغ العدد مبلغاً من غير العادة تواطؤهم على الكذب ولا يقيد ذلك بعدد معين.

والمسألة كما هي معروضة واضحة دائرة حول حصول الاطمئنان القلبي فهي في الأصل شاء المنكرون أم أبوا تعود إلى نفس الشخص السامع وحاله لا إلى ضابط صحيح.

وما دام أن المسألة تعود إلى السامع فقد يحصل الاطمئنان واليقين في نفس السامع بخبر الواحد فقط لاعتقاده بصدقه وقد لا يحصل الاطمئنان واليقين بخبر جماعة كثيرة لتردده وتوارد وساوسه. ولعل إدراكنا لهذا الأمر يكشف لنا عن حقيقة أصل هذه البدعة ـ وهي رفض حديث الآحاد في العقيدة ـ وهو أن أقواماً ظنوا أن الحقائق هي ما وجدوه من نفايات اليونان ووجدوا أن هذه الحقائق كما زعموا تخالف ما ورد من كتاب الله وسنة رسوله سواء أكانت هذه المسائل في الإلهيات أم في غيرها فتمحلوا الأسباب والدلائل لردها لحصول الشك لديهم في هذه النصوص فابتدع لهم شيطانهم هذه المقالة.

قال ابن القيم: واعلم أن الخبر وإن كان يحتمل الصدق والكذب والظن وللتجوز فيه مدخل ولكن هذا الذي قلناه ـ وهو أن الحديث بنفسه يفيد العلم ـ لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم وقته مشتغلاً بالحديث

والبحث عن سيرة النقلة والرواة ليقف على رسوخهم في هذا العلم وكبير معرفتهم به وصدق ورعهم في أقوالهم وأفعالهم وشدة حذرهم من الطغيان والزلل وما بذلوه من شدة العناية في تمهيد هذا الأمر والبحث عن أحوال الرواة والوقوف على صحيح الأخبار وسقيمها وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحداً في كلمة واحدة يتقولها على رسول الله ﷺ ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك وقد نقلوا هذا الدين كما نقل إليهم وأدوا كما أدي إليهم وكانوا في صدق العناية والاهتمام بهذا الشأن ما يحيل عن الوصف ويقصر دونه الذكر وإذا وقف المرء على هذا في شأنهم وعرف أحوالهم وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه[1].

ولأن أهل الحديث هم أدرى الناس بكلام رسول الله ﷺ فهم أعلم أمة محمد ﷺ بما يفيد الاطمئنان واليقين من حديث رسول الله ﷺ وما لا يفيد ذلك فقد حاول الخصوم إخراج هؤلاء الزمرة من ساحة المحاورة ليخلو لهم الجو فينشروا بضاعتهم الفجة ويوردوها الناس بلا مدافع ولذلك قالوا: «وبعدما تبين اختصاص كل علم بموضوعه يتضح أن تحقيق مسألة «عدم جواز الاستدلال بحديث الآحاد في العقيدة» إنما يكون في علم أصول الفقه ولا تعلق له بالمسائل الفقهية والحديثية إلا من حيث التمثيل والتوضيح بل هي التي لها علاقة بعلم الأصول فالعلماء الذين بحثوا هذا الموضوع وهم ليسوا مختصين بعلم الأصول أو لم يبنوا بحث هذه المسألة على الأسس الأصولية يكون بحثهم ناقصاً غير ناضج وبالتالي لا يعتد بآرائهم وأقوالهم في هذا الموضوع[2]». كذا زعموا ليخلو لهم الجو فيصولوا ويجولوا.

وتأكيداً لهذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: ـ كون الدليل

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢، ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٢) الإستدلال بالظني في العقيدة/ ١١.

من الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي يختلف باختلاف المدرك المستدل ليس هو صفة للدليل في نفسه فهذا أمر لا ينازعه فيه عاقل فقد يكون قطعياً عند زيد ماهو ظني عند عمرو فقولهم إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة المتلقاة بين الأمة بالقبول لا تفيد العلم بل هي ظنية هو إخبار عما عندهم إذ لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها العلم أهل السنة ما حصل لهم فقولهم لم نستفد بها العلم لم يلزم منها النفي العام على ذلك بمنزلة الاستدلال على أن الواجد للشيء العالم به غير واجد له ولا عالم به فهو كمن يجد من نفسه وجعاً أو لذة أو حباً أو بغضاً فينتصب له من يستدل على أنه غير وجع ولا متألم ولا محب ولا مبغض ويكثر له من الشبه التي غايتها أني لم أجد ما وجدته ولو كان حقاً لاشتركت أنا وأنت فيه وهذا عين الباطل وأحسن ما قيل :

أقــول للائــم المهــدي ملامته ذق الهوى وإن استطعت الملام لم

فيقال له : اصرف عنايتك إلى ما جاء به الرسول ﷺ والحرص عليه وتتبعه وجمعه ومعرفة أحوال نقلته وسيرتهم وأعرض عما سواه واجعله غاية طلبك ونهاية مقصدك بل احرص عليه حرص أتباع أرباب المذاهب على معرفة مذاهب أئمتهم بحيث حصل لهم العلم الضروري بأنها مذاهبهم وأقوالهم ولو أنكر ذلك عليهم منكر لسخروا منه . وحينئذٍ تعلم هل تفيد أخبار رسول الله ﷺ العلم أو لا تفيده فأما مع إعراضك عنها وعن طلبها فهي لا تفيدك علماً ولو قلت : لا تفيدك أيضاً ظناً لكنت مخبراً بحصتك ونصيبك منها[1] .

### أقوال الأئمة في هذه المسألة :

ذكر كثير من أهل العلم الإجماع السلفي على قبول حديث الآحاد في

---

(١) مختصر الصواعق ٢/ ٤٣٢ - ٤٣٣ .

العقائد وأنه يفيد العلم كما أنه يفيد العمل. قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية: يعمل بخبر الآحاد في أصول الدين، وحكى الإمام ابن عبد البر الإجماع على ذلك[1].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: ولم يزل سبيل سلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدنا هذه السبيل (أي تثبيت خبر الواحد)[2].

وقال رحمه الله: ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه، بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته جاز لي. ولكني أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد، بما وصفت من أن ذلك موجوداً على كلهم[3].

قال ابن القيم رحمه الله: وقد صرح الشافعي في كتبه بأن خبر الواحد يفيد العلم، نص على ذلك صريحاً في كتاب اختلاف مالك.

وفي كتاب المسودة قال أبو بكر المروزي قلت لأبي عبد الله (الإمام أحمد): ههنا إنسان يقول: إن الخبر يوجب عملاً ولا يوجب علماً فعابه وقال: ما أدري ما هذا.

قال المؤلف: ـ وظاهر هذا أنه سوى فيه بين العمل والعلم[4].

وقال السفاريني: نقل أحمد بن جعفر الفارسي في كتاب الرسالة عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه قال لا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون ذلك في حديث كما جاء نصدقه

---

(١) ١/ ١٩.

(٢) الرسالة/ ٤٥٣.

(٣) الرسالة ٤٥٧/ ٤٥٨.

(٤) المسودة ٢٤٢.

أنه كما جاء فقوله: ونعلم أنه كما جاء نص صريح في أن هذه الأحاديث تفيد العلم عنده[1].

قال الشوكاني: ـ وقال أحمد بن حنبل أن خبر الواحد يفيد بنفسه العلم[2].

وقال: وحكاه ابن حواز منداد عن مالك بن أنس واختاره[3].

وقال ابن حزم: وقد ثبت يقيناً أن خبر الواحد العدل عن من مثله مبلغاً إلى رسول الله ﷺ حق مقطوع به موجب للعمل والعلم معاً[4].

وقال ابن أبي العز الحنفي: وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر. ولم يكن بين سلف الأمة نزاع في ذلك كالأحاديث المتفق عليها بين الصحيحين: كخبر عمر إنما الأعمال بالنيات. وخبر ابن عمر رضي الله عنهما «نهى هن بيع الولاء وهبته». وخبر أبي هريرة: ولا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها، وكقوله: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وأمثال ذلك[5].

وفي فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يجب العمل بالأحاديث الصحيحة التي لا يعلم لها معارض يدفعها وهي تنقسم إلى ما دلالته قطعية بأن يكون قطعي السند والمتن وهو ما تيقنا أن رسول الله قاله وتيقنا أنه أراد به تلك الصورة وإلى ما دلالته ظاهرة غير قطعية.

فأما الأول فلا خلاف بين العلماء في الجملة أنه يجب اعتقاد موجبه علماً وعملاً...

---

(١) لوامع الأنوار البهية ١/ ١٨.
(٢) الإرشاد/ ٤٨.
(٣) انظر الأحكام ١/ ١١٩.
(٤) الأحكام ١/ ١٢٤.
(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٣٩٩ ـ ٤٠٠.

وقد اختلفوا في خبر الواحد الذي تلقته الأمة بالقبول والتصديق أو الذي اتفقت على العمل به، فعند عامة الفقهاء وأكثر المتكلمين أنه يفيد العلم وذهب طوائف من المتكلمين إلى أنه لا يفيد. . . وأما القسم الثاني وهو الظاهر فهذا يجب العمل به في الأحكام الشرعية باتفاق العلماء المعتبرين فإن كان تضمن حكماً علمياً مثل الوعيد ونحوه فقد اختلفوا فيه فذهب طوائف من الفقهاء إلى أن خبر الواحد العدل إذا تضمن وعيداً على فعل فإنه يجب العمل به في تحريم ذلك الفعل ولا يعمل به في الوعيد إلا أن يكون قطعياً وكذلك لو كان المتن قطعياً لكن الدلالة ظاهرة. وذهب الأكثرون من الفقهاء وهو قول عامة السلف إلى أن هذه الأحاديث حجة في جميع ما تضمنته من الوعيد فإن أصحاب رسول الله والتابعين من بعدهم ما زالوا يثبتون بهذه الأحاديث الوعيد كما يثبتون بها العمل[1].

وقال رحمه الله: ومن الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول فعملوا به فهذا يفيد العلم ونجزم بأنه صدق لأن الأمة تلقته بالقبول تصديقاً وعملاً بموجبه والأمة لا تجتمع على ضلاله[2].

ويقول كذلك: «فالخبر الذي رواه الواحد من الصحابة والاثنان إذا تلقته الأمة بالقبول والتصديق أفاد العلم عند جماهير العلماء ومن الناس من يسمى هذا المستفيض، والعلم هنا حصل بإجماع العلماء على صحته فإن الإجماع لا يكون على خطأ ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم صحته عند علماء الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وإنما خالف في ذلك فريق من أهل الكلام»[3].

قال الشوكاني: ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢٥٧ - ٢٦٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١٨/ ١٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٨/ ٧٠،

العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول فكانوا بين عامل به ومتأول له ومن هذا القسم أحاديث الصحيحين فإن الأمة قلد تلقت ما فيها بالقبول[1].

قال ابن حزم: ـ قال أبو سليمان والحسين بن علي الكرابيسي والحارث بن أسد المحاسبي: إن خبر الواحد العدل عن مثله عن رسول الله ﷺ يوجب العلم والعمل جميعاً[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله: ـ وهو قول المصنفين من أصحاب أبي حنيفة، ومالك والشافعي وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك. وقال: وأهل الحديث والسلف على ذلك، وهو قول أكثر الأشعرية، كأبي إسحق وابن فورك. وقال: وهو قول أبي حامد وأبي الطيب وأبي إسحق من الشافعية. وقول القاضي عبد الوهاب من المالكية، وهو قول أبي يعلي وأبي الخطاب وأبي الحسن بن الزاغوني من الحنبلية. وهو قول السرخسي وأمثاله من الحنفية، وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجباً للقطع به فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم والحديث[3].

قال أبو إسحق الإسفراييني: أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها، ولا يحصل الخلاف فيها بحال، وإن حصل فذاك اختلاف في طرقها ورواتها؛ قال: فمن خالف حكمه خبراً منها وليس له تأويل سائغ للخبر، نقضنا حكمه، لأن هذه الأخبار تلقتها الأمة بالقبول[4].

---

(١) إرشاد الفحول/ ٥٠.

(٢) الأحكام ١/ ١١٩.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٤) قواعد التحديث للقاسمي/ ٨٥.

وقال ابن حجر: ـ الخبر المحتف بالقرائن قد يفيد العلم خلافاً لمن أبى ذلك[1].

هٰذه أقوال لأساطين العلم وجهابذة الفتوى يرون أن حديث الآحاد يفيد العلم والعمل وأن هذه الأحاديث كما يوجبون بها أعمالاً كذلك هي حجة في العقائد والتصورات والزعم بخلاف ذلك أمر محدث بدعي لم يعلم عند السلف السابقين.

قال ابن حزم: ـ وقد أوجب الله تعالى على كل طائفة إنذار قومها وأوجب على قومها قبول نذارتهم بقوله تعالى: ﴿**ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ فقد حذر تعالى من مخالفة نذارة الطائفة ـ والطائفة في اللغة تقع على بعض الشيء كما قدمنا ـ ولا يختلف اثنان من المسلمين في أن مسلماً ثقة لو دخل أرض الكفر فدعا قوماً إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن وعلمهم الشرائع لكان لزاماً عليهم قبوله ولكانت الحجة عليهم بذلك قائمة وكذلك لو بعث الخليفة أو الأمير رسولاً إلى ملك من ملوك الكفر أو إلى أمة من أمم الكفر يدعوهم إلى الإسلام ويعلمهم القرآن وشرائع الدين ولا فرق وما قال قط مسلم أنه كان حكم أهل اليمن أن يقولوا لمعاذ ولمن بعثه عليه السلام إلى كل ناحية معلماً وفقيهاً ومقرئاً: نعم أنت رسول رسول الله ﷺ وعقد الإيمان حق عندنا ولكن ما أفتيتنا به وعلمتناه من أحكام الصلاة ونوازل الزكاة وسائر الديانة عن النبي ﷺ، وما أقرأتنا من القرآن عنه عليه السلام فلا نقبله منك ولا نأخذه عنك لأن الكذب جائز عليك ومتوهم منك حتى يأتينا لكل ذلك كواف وتواتر. بل لو قالوا ذلك لكانوا غير مسلمين. وكذلك لا يختلف اثنان في أن رسول الله ﷺ إنما بعث من بعث من رسله إلى الآفاق لينقلوا إليهم عنه القرآن والسنن وشرائع الدين، وأنه عليه السلام لم يبعثهم إليهم ليشرعوا لهم ديناً لم يأت هو به عن الله تعالى. فصح بهذا كله أن كل ما نقله الثقة

---

(١) شرح النخبة/ ٧.

عن الثقة مبلغاً إلى رسول الله ﷺ من قرآن أو سنن ففرض قبوله والإقرار به والتصديق به واعتقاده والتدين به[1].

وقال رحمه الله ومن البرهان في قبول خبر الواحد: خبر الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال له رجل: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فصدقه وخرج فاراً وتصديقه المرأة في قولها: «إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا» فمضى معها وصدقها[2].

وقال الإمام الشافعي في قوله تعالى: **﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءهم المرسلون . إذا أرسلنا إليهم اثنين فكذَّبوهما فعزَّزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾**[3].

قال رحمه الله: فظاهر الحجج عليهم باثنين، ثم ثالث، وكذا أقام الحجة على الأمم بواحد، وليس الزيادة في التأكيد مانعة أن تقوم الحجة بالواحد، إذ أعطاه الله ما يباين به الخلق أجمعين[4].

---

(١) الأحكام ١/ ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) الأحكام ١/ ١١٨.

(٣) يس/ ١٣ ـ ١٥.

(٤) الرسالة/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨.




# حكم منكر أحاديث الآحاد

قال الشيخ عمر الأشقر: ـ ذهب الإمام إسحق بن راهويه إلى القول بكفره والصحيح أنه لا يكفر لأنه لا يكذب الرسول ﷺ وإنما يتهم الرواة الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ بالغلط ولعل الذين ذهبوا إلى القول بكفره نظروا إلى الأحاديث المجمع على صحتها أو التي تلقتها الأمة بالقبول وليس معنى عدم القول بتكفيره أنه مسلم لا بل يخشى على مثل هذا أن يصيبه الله بمصاب لأنه أعرض عن قول رسول الله ﷺ والله يقول: ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ ونقول لمثل هذا كما قال الشافعي رحمه الله ليس لك أن تشك في أحاديث الرسول ﷺ التي رواها الثقات العدول فهذه الأحاديث أصل الدين والدين محفوظ إلى نهاية الزمان[١].

وأما من رأى أن السنة بالكلية لا تصلح دليلاً للعقائد واليقينات ويزعم أنه لا يرضى إلا بكتاب الله عز وجل فهو كافر كما أفتى به كثير من العلماء: ـ

قال السيوطي: فاعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج من دائرة

---

(١) الاعتقاد/ ٨٨.

الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة. روى الإمام الشافعي رضي الله عنه يوماً حديثاً وقال إنه صحيح فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبدالله؟ فاضطرب وقال: يا هذا أرأيتني نصرانياً؟ أرأيتني خارجاً من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زناراً؟ أروي حديثاً عن رسول الله ﷺ ولا أقول به؟[1].

وقال ابن حزم: ـ ولو أن امرءاً قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل وأخرى عند الفجر لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة ولا حد للأكثر في ذلك وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال[2].

---

(١) مفتاح الجنة/ ٦.

(٢) الإحكام ٢/ ٨٠.




# البيجوري ومفهوم الإيمان

يقول اللقاني : ـ

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق[1]

وفسر البيجوري هذا النظم بقوله : ـ

إن الإيمان هو مطلق التصديق والإيمان والعمل الصالح متغايران ومن صدق بقلبه ولم يتفق له الإقرار في عمره لا مرة ولا أكثر من مرة مع القدرة على ذلك فهو مؤمن عند الله تعالى ولكنه شرط في إجراء الأحكام الدنيوية[2] .

قال : والراجح أن الإيمان هو التصديق وهو غير الجزم[3] .

هل الإيمان هو التصديق فقط : ـ

إن القول أن الإيمان هو التصديق خطأ كبير ذلك لأن فيه اقتصاراً على المعنى اللغوي فقط والإسلام قد أضاف للألفاظ معان شرعيّة زيادة على المعاني اللغوية مع أن الإيمان في بعض وجوه الأصل اللغوي تفيد العمل[4] . مع أن هناك اعتراض على قولهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق بمنع الترادف بين التصديق والإيمان ، وهب أن الأمر يصح في

(١) الشرح / ٤٢ .

(٢) الشرح / ٤٦ ـ ٥١ .

(٣) الشرح ٣٤ .

(٤) انظر شرح الطحاوية/ ٣٣٨ .

موضع، فلم قلتم إنه يوجب الترادف مطلقاً؟ وكذلك اعترض على دعوى الترادف بين الإسلام والإيمان. ومما يدل على عدم الترادف: أنه يقال للمخبرَ إذا صدق: صدّقه، ولا يقال آمنه ولا آمن به، بل يقال آمن له، كما قال تعالى: ﴿**فآمن له لوط**﴾، (العنكبوت ٢٦). ﴿**فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف**﴾، (يونس ٨٣). وقال تعالى: ﴿**يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين**﴾، (التوبة ٦١). ففرق بين المعدّى بالباء والمعدى باللام، فالأول يقال للمخبرَ به، والثاني للمخبر. ولا يرد كونه يجوز أن يقال: ما أنت بمصدقٍ لنا، لأن دخول اللام لتقوية العامل، كما إذا تقدم المعمول، أو كان العامل اسم فاعل، أو مصدراً[1] فاقتصار الإيمان على التصديق فقط اقتصار مرفوض ذلك لأن الرسول ﷺ قد وافقنا على معاني الإيمان وعلمنا من مراده علماً ضرورياً أن من قيل إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك ولا صلى ولا صام ولا أحب الله ورسوله ولا خاف الله بل كان مبغضنا للرسول معادياً له يقاتله: أن هذا ليس بمؤمن[2].

ومن هنا التصديق لا يطلق على المعنى المجرد عن اللفظ ولذا لم يجعل الله أحداً مصدقاً للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بألسنتهم ولا يوجد في كلام العرب أن يقال فلان صدق فلاناً أو كذبه إذا كان يعلم بقلبه أنه صادق أو كاذب ولم يتكلم بذلك[3].

وقد نفى الله الإيمان عمن صدق بقلبه ولم ينطقها بلسانه فقال سبحانه: ﴿**وما هم بمؤمنين**﴾ (البقرة/ ٨).

وقد بين الله سبحانه حال أقوام صدقوا بقلوبهم وأبوا أن يقروا بألسنتهم

---

(١) الطحاوية/ ٣٣٨.

(٢) شرح الطحاوية/ ٣٣٩، وهو نص قول شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب الإيمان/ ١١٢.

(٣) الإيمان/ ١١٣.

بأنهم كفرة مكذبين للرسل وللحق قال سبحانه: **﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾** (البقرة ١٤٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ـ والمشاهد أن هناك خلقاً من الكفار يعرفون في الباطن أن دين الإسلام حق ويذكرون ما يمنعهم من الإيمان إما معاداة أهلهم وإما ما لا يحصل من جهتهم يقطعونه عنهم وإما خوفهم إذا آمنوا أن لا يكون لهم حرمة عند المسلمين كحرمتهم في دينهم قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين، ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد إيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فاصبحوا خاسرين﴾**[1]. والمفسرون متفقون على أنها نزلت بسبب قوم ممن كان يظهر الإسلام وفي قلبه مرض وخاف أن يغلب أهل الإسلام فيوالي الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم لا لاعتقادهم أن محمداً كاذب واليهود والنصارى صادقون فقد روي أن عبادة بن الصامت قال: يا رسول الله إن لي موالي من اليهود وإني أبرأ إلى الله من ولاية يهود فقال عبدالله بن أبي لكني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية يهود فنزلت هذه الآية[2].

وبقولهم إن الإيمان هو التصديق فقط إخراج للأعمال منه وهو قول باطل:
ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لقد غلط المرجئة في أصلين أحدهما ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة

(١) المائدة: ٥١ ـ ٥٣.
(٢) الإيمان/ ١٤٠ ـ ١٤١.

وخشية في القلب فإن أعمال القلوب كلها فيها مما فرضه الله وسوله فهو من الإيمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب فالأول لا بد لكل مؤمن منه ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب اليمين والثاني للمقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله بل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما بل أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من أهله وماله ومثل خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين والتوكل على الله وحده دون المخلوقين والإنابة إليه مع خشيته كما قال تعالى: «هٰذا ما توعدون لكل أواب حفيظ، من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب» والثاني من غلط المرجئة ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار فإنما ذلك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع ذلك يجحد ذلك لحسده إياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى في النفس وهو في قلبه يعلم أن الحق معه وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وإنهم صادقون ولكنهم يكذبون إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرئاسة وإما لحبهم لدينهم الذي كانوا عليه فيكونون بذلك من أكفر الناس كإبليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرسول على حق ولهٰذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح في صدق الرسل إنما معتمدهم على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح: ﴿**أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**﴾ (الشعراء/ ١١١) ومعلوم أن اتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه ومثل قول فرعون: ﴿**أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون**﴾ (المؤمنون/ ٤٧) ومثل قول عامة المشركين: ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون**﴾ (الزخرف/ ٢٢) وهذه الأمور وأمثالها ليست حججاً تقدح في صدق الرسل بل تبين أنها تخالف إرادتهم وأهوائهم وعاداتهم فلذلك لم يتبعوهم وهؤلاء كلهم كفار بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي ﷺ ويحبون علو كلمته

وليس عندهم حسد له وكانوا يعلمون صدقه ولكن كانـوا يعلمـون أنّ في متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم فما احتملت نفوسهم ترك العادة واحتمـال هذا الذم فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بل لهوى النفس فكيف يقال إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله[١] .

وقال رحمه الله : «وقد كَفّر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرهما من يقول بهذا القول (إن الإيمان هو التصديق فقط) وقالوا : إبليس كافر بنص القرآن وإنما كفره باستكباره وامتناعه عن السجود لآدم لا لكونه كذب خبراً وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم : **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا﴾** (النمل/ ١٤) وقال موسى عليه السلام لفرعون : **﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر﴾** (الإسراء/ ١٠٢) فدل على أن فرعون كان عالماً بأن الله أنزل الآيات وهو من أكبر خلق الله عناداً وبغياً لفساد إرادته وقصده لا لعدم علمه»[٢] .

وقال رحمه الله : «لقد تبين أن الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى وبلفظ الدين فإن النبي ﷺ يبين أن الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إلّه إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق فكان كل ما يحبه الله يدخل فيه اسم الإيمان وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق وكذلك لفظ التقوى وكذلك الدين أو دين الإسلام[٣] .

أما قول البيجوري إن التصديق لا يعني الجزم فهو يعني عنده أن المؤمن لا يجزم بما آمن به والله عز وجل يقول : **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾** (الحجرات/ ١٥) فاشترط سبحانه في صدق

---

(١) الإيمان ١٣٨ ـ ١٤٠ .

(٢) الإيمان/ ١٣٨ .

(٣) الإيمان/ ١٣٠ .

إيمانهم كونهم لم يرتابوا ولم يشكوا.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أشهد أن لا إلّه إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة) فاشترط رسول الله ﷺ الجزم وعدم الشك لصحة الإيمان.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ أرسل أبا هريرة بنعليه قائلاً له: من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلّه إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة.

ولذلك لا بد لكلمة التوحيد من شروط لتكون مفتاحاً لدخول الجنة وهذه الشروط هي: -

١ - العلم بمعناها: قال تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إلّه إلا الله**﴾ (محمد/ ١٩) وفي الصحيح عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ من مات وهو يعلم أنه لا إلّه إلا الله دخل الجنة.

٢ - اليقين: أن يكون القائل مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً فإن الإيمان لا يغني فيه إلا اليقين لا علم الظن والشك قال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا**﴾ (الحجرات/ ١٥).

٣ - القول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه: - قال تعالى: ﴿**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إلّه إلا الله يستكبرون ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون**﴾ (الصافات ٣٥ - ٣٦).

فجعل الله سبحانه وتعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إلّه إلا الله كما تقدم.

٤ - الإنقياد لما دلت عليه المنافي لترك ذلك: قال سبحانه: ﴿**وأنيبوا**

**إلى ربكم وأسلموا له﴾** (الزمر/ ٥٤) وقال سبحانه: ـ **﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾** (لقمان ٢٢).

٥ ـ الصدق: ـ وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يوافق قلبه ولسانه قال عز وجل: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾** [البقرة: ٨ ـ ٩]، فهم كاذبون في قولهم.

وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه: «ما من أحد يشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار» فاشترط في قائل الكلمة أن يكون صادقاً.

٦ ـ الإخلاص: ـ قال سبحانه: **﴿إلا لله الدين الخالص﴾** (الزمر/ ٣) وقال تعالى: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾** (البينة/ ٥).

٧ ـ المحبة: ـ قال تعالى: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾**[1] (البقرة/ ١٦٥).

---

(١) انظر العقيدة في الله لعمر الأشقر.

# الأشاعرة وصفات الله

البيجوري وناظم الجوهرة اللقاني يأبيان سلوك طريق السلف الصالح في العقائد والتصورات وهما يتبعان طريق الخلف في العقيدة.

فالبيجوري من القائلين بتأويل صفات الله عز وجل وصرفها عن ظاهرها وتحميل معاني الصفات معان جديدة جاؤوا بها من عند أنفسهم فحرموا متابعة الأُوَل ووافقوا أقواماً طالما حمل عليهم السلف الغارات من أجل ردعهم عن باطلهم ومن أجل كشف عوار عقائدهم يقول اللقاني: -

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوِّض ورم تنزيها

يقول البيجوري: - (أوِّله) أي إحمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد، فالمراد: أوِّله تأويلاً تفصيلياً بأن يكون فيه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف: وهم من كانوا بعد الخمسمائة. وقيل: من بعد القرون الثلاثة. وقوله: (أو فوّض) أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، فبعد هذا التأويل فوِّض المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف.

يقول: وطريقة الخلف أعلم وأحكم، لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم، وهي الأرجح، ولذلك قدمها الناظم، وطريقة السلف أسلم: لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد الله.

وقوله (ورم تنزيها) : أي واقصد تنزيهاً له تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد؛ فظهر مما قررناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالي لأنهم يصرفون النص الموهم عن ظاهرة المحال عليه تعالى.

ويقول شارحاً ذلك يالأمثلة : ـ

١ ـ قوله تعالى: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾ فالسلف يقولون فوقية لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد بالفوقية التعالي في العظمة؛ فالمعنى يخافون أي الملائكة ربهم من أجل تعاليه في العظمة أي ارتفاعه فيها.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾ فالسلف يقولون: استواء لا نعلمه، والخلف يقولون: المراد به الإستيلاء والملك. كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق    من غير سيف ولادم مهراق

ويقول مؤيداً قول الغزالي في القصيدة المنسوبة إليه قال: ـ

وهو فوق الفوق لا فوق له    وهو في كل النواحي لا يزول

٣ ـ قال ومما يوهم الجسمية قوله تعالى: ﴿**وجاء ربك**﴾ وحديث الصحيحين: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ويقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له) فالسلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمهما،والخلف يقولون: المراد: وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب، والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله . . . إلخ.

٤ ـ قال: ومما يوهم الجوارح قوله تعالى: ﴿**ويبقى وجه ربك**﴾ و ﴿**ويد الله فوق أيديهم**﴾ وحديث: (إن قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين أصبعين من أصابع الرحمن) فالسلف يقولون: لله وجه ويد وأصابع لا

نعلمها، والخلف يقولو المراد من الوجه: الذات وباليد: القدرة؛ والمراد من قوله: (بين أصبعين من أصابع الرحمن) بين صفتين من صفاته وهاتان الصفتان: القدرة والإرادة[1].

هذه هي عقيدة البيجوري الأشعري في صفات الله عز وجل وقوله يتضمن عدّة أمور: -

١ - أن صفات الله عز وجل دائرة بين التأويل والتفويض لا ثالث لهما.

٢ - أن التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر.

٣ - التفويض: هو جهل بمعنى الصفات، وتفويض المعاني للصفات الموهمة لرب العالمين.

٤ - التفويض والتأويل متفقان على أن اللفظ القرآني للصفة غير مراد؛ والسلف والخلف متفقان على صرف النص الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى (كما يزعم).

٥ - أن إثبات صفات الله عز وجل يؤدي إلى التجسيم.

فهل ما قاله البيجوري يوافق معتقد أهل السنة والجماعة من السلف الصالح وهل ما قاله يوافق ما فهمه الأئمة من صفات الله عز وجل.

- ما هي عقيدة السلف في صفات الله عز وجل؟.

قال ابن القيم رحمه الله: وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدو لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل

(١) الشرح ٩١ - ٩٣.

أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم[1].

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي: - والحق الذي لا شك فيه أدنى عاقل، أن كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فالظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث. قال: وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟ لا والله لا ينكر ذلك إلا مكابر. والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله عز وجل وعدم الإيمان بها مع أنه جل وعلا هو الذي وصف نفسه بها فكان هذا الجاهل مشبهاً أولاً ثم معطلاً ثانياً فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء، ولو كان في قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظماً لله كما ينبغي، طاهراً من أقذار التشبيه، لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أن وصف الله تعالى بالغ في الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين فيكون قلبه مستعداً للإيمان لصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله: ﴿**ليس** كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[2].

وقال ابن عبد البر: «أهل السنن مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكيفوا شيئاً منها؛ وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: من أقر بها فهو مشبه فسماهم من أقربها معطلة[3].

---

(١) أعلام الموقعين ١/ ٤٩.

(٢) أضواء البيان ٢/ ٣١٩ وانظر منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات له/ ١٩ - ٢٠.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٤٠٧.

وقال الإمام الترمذي في سننه في باب فضل الصدقة: ما ثبت بهذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف هذا هكذا روي عن مالك بن آنس وسفيان بن عينية وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث أمروها بلا كيف وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه. وقد ذكر الله تبارك وتعالى في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات وفسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده وقالوا: إنما معنى اليد القوة.

وقال إسحق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو مثل يد أو سمع كسمع أو مثل سمع فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع فهٰذا تشبيه وأما إذا قال كما قال الله يد وسمع وبصر ولا يقول كيف مثل سمع ولا كسمع فهٰذا لا يكون تشبيهاً وهو كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**[1].

وقال الشهرستاني: ـ فأما أحمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل مالك بن أنس ومقاتل بن سليمان وسلكوا طريق السلامة فقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات وأن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره[2].

وقال ابن خزيمة في كتابه (التوحيد وإثبات صفات الرب): فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا. أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك في قلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين وعز ربنا أن نشبهه بالمخلوقين وجل ربنا عن مقالة

(١) سنن الترمذي ٢/ ٨٧.

(٢) الملل والنحل/ ٦٠٤.

العاطلين وعز أن يكون كما قال المبطلون[1].

قال ابن قدامة المقدسي: ـ وعلى هذا درج السلف والخلف رضي الله عنهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله وقد أمرنا بالإقتفاء لآثارهم والإهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها ضلالات[2].

فهذه نصوص من أقوال السلف الصالح في وصف عقائد أصحاب الملّة الصحيحة واضحة جلية في أن عقائد السلف هي ما اجتمع فيها.

١ ـ تنزيه الله عن مشابهة الخلق في صفاته وأفعاله وذاته.

٢ ـ الإيمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة وعدم التعرض لنفيها وعدم التهجم على الله بنفي ما أثبته لنفسه.

٣ ـ إن الكيفية مقطوع الطمع بإدراك كيفيتها[3].

إذاً فعقيدة السلف رضي الله عنهم هو إثبات ما أثبته الله لنفسه من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه. وأنه من قال بالتأويل والتعطيل فهو جهمي معاند. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ـ فقول ربيعة ومالك: (الإستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب) موافق لقول الباقين أمروها كما جاءت بلا كيف فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف فإن الإستواء حينئذٍ لا يكون معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم وأيضاً فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معنى وإنما يحتاج إلى نفي علم

---

(١) ص ١٠.

(٢) لمعة الإعتقاد/ ٤.

(٣) منهج ودراسات/ ٢٥ ـ ٢٦.

الكيفية إذا أثبت الصفات وأيضاً فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقاً لا يحتاج أن يقول بلا كيف فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف وأيضاً فقولهم: أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه فإنها جاءت ألفاظاً دالة على معاني فلو كانت دلالتها منفية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول[1].

فليس مذهب السلف التفويض ولا التأويل إنما هم يثبتون صفات الله عز وجل مع تنزيهه سبحانه وتعالى.

قال الشيخ محمد صالح عثيمين: ـ ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر فباعتبار المعنى هي معلومة وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك السمع والعقل.

أما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾ وقوله جل ذكره: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم وإلا لما

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٤١ ـ ٤٢.

كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه. وأما العقل فلأن من المحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهولة المعنى بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى وقد قال تعالى عن كتابه: ﴿**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾.

هذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات: وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات ويدعون أن هذا مذهب السلف والسلف بريئون من هذا المذهب وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المعروف (العقل والنقل) ١/ ١١٦ المطبوع على هامش (منهاج السنة): وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله. إلى أن قال (ص ١١٨) وحينئذٍ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه قال ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيان للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله ومع هذا فأشرف ما فيه هو ما أخبر به الرب عن صفاته... لا يعلم أحد معناه ولا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين؛ وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي

وعقلي وليس في النصوص ما يناقض ذلك لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة ولا يعلم أحد معناها وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء وفتحاً لباب من يعارضهم ويقول: إنّ الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد[1].

فالتأويل والتفويض مذهبان باطلان وفيهما إلحاد في صفات الرب تبارك وتعالى.

قال الشيخ عثيمين: ـ ومذهب التأويل باطل من وجوه: ـ

١ ـ إنه جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

٢ ـ إنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره. والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي والنبي ﷺ خاطبهم بأفصح لسان البشر فوجب حمل كلام الله ورسوله على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عز وجل.

٣ ـ أنه صرف كلام الله ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله بلا علم وهو محرم لقوله تعالى: **﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾** ولقوله سبحانه: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا﴾**.

(١) القواعد المثلى/ ٣٦.

فالصارف لكلام الله تعالى ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم وقال على الله ما لا يعلم من وجهين : ـ

الأول : ـ أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله كذا مع أنه ظاهر الكلام.

الثاني : ـ أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام. وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الإحتمال قولاً بلا علم فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام؟

مثال ذلك قوله تعالى لإبليس : ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ** ﴾ فإذا صرف الكلام عن ظاهره وقال لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين وإنما أراد كذا وكذا قلنا له ما دليلك على ما نفيت وما دليلك على ما أثبت فإن أتى بدليل ـ وأنى له ذلك ـ وإلا كان قائلاً على الله بلا علم بنفيه وإثباته.

٤ ـ إن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها فيكون باطلاً لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها[1].

الصفات التي أولها البيجوري : ـ

بعد بيان مذهب السلف في صفات الله عز وجل وأنها حق على ظاهرها من غير تشبيه، لنرى ما ضرب البيجوري من أمثلة على مذهبه الباطل وما هو موقف السلف من هذه الصفات.

١ ـ أوّل البيجوري الفوقية بالعظمة وزعم أن فوقية الذات تستلزم التشبيه. وأول الإستواء بالاستيلاء.

---

(١) انتهى باختصار القواعد المثلى ٤٠ ـ ٤٣.

قال تعالى: ـ ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش** ﴾ (الأعراف/ ٥٤).

وقال سبحانه: ﴿ **تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى. الرحمن على العرش استوى. له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى** ﴾، (طه ٤ ـ ٨).

وقال تعالى: ﴿ **إني متوفيك ورافعك إلي** ﴾، (آل عمران/ ٥٥).

وقال تعالى: ﴿ **وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير** ﴾، (الأنعام/ ١٨).

وقال تعالى: ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾، (النحل/ ٥٠).

وقال تعالى: ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾، (فاطر/ ١٠).

وقال تعالى: ﴿ **يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً** ﴾، (المؤمن ٣٦ ـ ٣٧).

قال الحافظ الدارمي في الرد على الجهمية: ففي هذه الآية بيان بين ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ورام الإطلاع إليه.

قال معاوية بن الحكم السلمي: كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي، فأطلعتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة ـ وأنا رجل من بني آدم ـ فأسفت فصككتها فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظم ذلك علي، فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ادعها، فدعوتها. فقال لها رسول

الله: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله ﷺ. قال: اعتقها فإنها مؤمنة[1].

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟ يأتيني خبر السماء صباح مساء، متفق عليه.

وعن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا أمطرت السماء حسر عن منكبيه حتى يصنيبه المطر ويقول: إنه حديث عهد بربه[2].

وقال عدي بن عميرة: خرجت مهاجراً إلى النبي ﷺ فذكر قصة طويلة إلى أن قال: فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم في السماء فأسلمت وتبعته[3].

وقال أبو حنيفة: من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله تعالى يقول: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ وعرشه فوق سبع سموات[4].

وقال عبد الله بن المبارك: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات على العرش استوى، بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية[5].

وقال وهب بن جرير: الجهمية الزنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى. وقال: احذر من المريسي وأصحابه فإن كلامهم يستجلب الزندقة وأنا كلمت أستاذهم جهماً فلم يثبت لي أن في السماء إلهاً[6].

وقال ابن خزيمة: ـ فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستو على

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية/ ٥١.

(٤) شرح الطحاوية/ ٣٢٢.

(٥) الرد على الجهمية/ ٨.

(٦) الرد على الجهمية/ ٨.

عرشه لا نبدل كلام الله ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا[1].

وقال أبو الحسن الأشعري: نقول إن الله عز وجل مستو على عرشه[2].

وقال ابن تيمية: والقول الفصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به[3].

قال أبو الحسن الأشعري شارحاً الاستواء:- فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات، قال: أأمنتم من في السماء، لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السموات، وليس إذا قال: أأمنتم من في السماء - يعني جميع السموات - وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال: ﴿**وجعل القمر فيهن نوراً**﴾ ولم يرد أن القمر يملأهن جميعاً، وأنه فيهن جميعاً، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السموات فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض[4].

وقال رحمه الله: إن قال قائل ما تقول في الإستواء؟ قيل تقول له: إن الآ مستو على العرش كما قال تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾... وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن قول الله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ أنه استولى وقهر وملك، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على - عرشه كما قال أهل الحق - وذهبوا

---

(١) التوحيد (١٠١، ١٠٤).

(٢) الإبانة/ ٣٠.

(٣) الحموية ١/ ٤٣٩ - ٤٤٠ المجموعة الكبرى.

(٤) الإبانة/ ٣١.

في الاستواء للقدرة ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض ،فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم ، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الإستيلاء ـ وهو سبحانه مستول على الأشياء كلها ـ لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها ، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ـ ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية ـ لم يجز أن يكون الإستواء على العرش الإستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها .

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله عز وجل في كل مكان ، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية ، وهذا خلاف الدين ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً[1] .

وقال أبو نصر السجزي : وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عينية وحماد بن زيد والفضيل وأحمد وإسحق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته وأن علمه بكل مكان[2] .

وقال الإمام القرطبي في قوله تعالى : ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك ، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله . ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة . وخص العرش بذلك لأنه أعظم المخلوقات ، وإنما جهلوا كيفية الإستواء فإنها لا تعلم حقيقته[3] .

---

(١) الإبانة ٧٠/ ٧١.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية/ ٩٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢١٩.

وقال ابن خزيمة: من لم يقل أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة. ا. هـ.

وقال الإمام البخاري عند قوله تعالى: **﴿ثم استوى إلى السماء﴾** قال أبو العالية الرياحي استوى إلى السماء أي ارتفع، وقال مجاهد، استوى: علا على العرش[1].

وقال الدارمي في الرد على الجهمية بعدما ساق حديث الجارية: ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الأرض فليس بمؤمن ولو كان عبداً فأعتق لم يجز في رقبة مؤمنة إذ لا يعلم أن الله في السماء[2].

وقال حماد بن زيد: إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله[3] يعني الجهمية.

معنى قولهم: إن الله في السماء.

قال أبو بكر محمد بن موهب المالكي في شرحه لرسالة الإمام أبي محمد بن أبي زيد: أما قوله: **﴿إنه فوق عرشه المجيد بذاته﴾** فمعنى فوق وعلى عند جميع العرب واحد. وفي الكتاب والسنة تصديق ذلك، وهو قوله تعالى: **﴿ثم استوى على العرش﴾** وقال: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** وقال: **﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾**.

وساق حديث الجارية والمعراج إلى سدرة المنتهى، إلى أن قال: وقد تأتي لفظة (في) في لغة العرب بمعنى فوق، كقوله تعالى: **﴿فامشوا في**

---

(١) صحيح البخاري الفتح ١٣/ ٤٠٤.

(٢) الرد على الجهمية/ ٣٩.

(٣) مختصر العلو/ ١٤٦.

مناكبها﴾ و ﴿في جذوع النخل﴾ و ﴿أأمنتم من في السماء﴾ قال أهل التأويل (أي التفسير): يريد فوقها، وهو قول مالك مما فهمه عمن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابة، مما فهموه عن النبي ﷺ أن الله في السماء، يعني فوقها وعليها، فلذلك قال الشيخ أبو محمد: (إنه فوق عرشه) ثم بين أن علوّه فوق عرشه إنما هو بذاته لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو في كل مكان بعلمه لا بذاته. إذ لا تحويه الأماكن، لأنه أعظم منها، قد كان ولا مكان. ثم سرد كلاماً طوَيلاً إلى أن قال: ـ فلما أيقن المنصفون إفراد ذكره بالإستواء على عرشه بعد خلق سمواته وأرضه، وتخصيصه بصفة الإستواء، علموا أن الإستواء هنا غير الإستيلاء ونحوه، فأقروا بوصفه بالإستواء على عرشه، وأنه على الحقيقة لا على المجاز، لأنه الصادق في قيله، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله إذ ليس كمثله شيء[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثم من توهم أن كون الله في السماء ـ بمعنى أن الله في السماء تحيط به ـ فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحداً نقله عن واحد؛ ولو سئل سائر المسلمين: هل يفهمون من قول الله ورسوله (إن الله في السماء) أن السماء تحويه، لبادر كل واحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله، بل عند المسلمين أن معنى «الله في السماء وهو على العرش» واحد إذ السماء يراد به العلو فالمعنى أن الله في العلو لا في السفل[2].

---

(١) مختصر العلو / ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(٢) العقيدة الحموية/ ١٥٨.

وقد تقدم قول الإمام أبي الحسن الأشعري في هٰذا.

وقوله أن الاستواء بمعنى الاستيلاء فقد قدمنا أقوال السلف في نفي هذا التأويل الباطل وممن قال كذلك بهٰذا النفي: ـ

قال محمد بن أحمد بن النضر: كان أبو عبد الله جارنا، وكان ليلةً أحسن ليل، وذكر لنا أن ابن أبي دؤاد سأله: أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: لا أعرفه[1].

وقال داود بن علي: كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ما معنى قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾؟ قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال الرجل: ليس كذلك، إنما معناه استولى. فقال: اسكت ما يدريك ما هذا؟ العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب، قيل: استولى، والله تعالى لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر[2].

وبهذا يعلم أن قول من قال أن الله في كل مكان ضلال مبين.

٢ ـ أوَّل البيجوري صفة المجيء فقال: إنما هو مجيء العذاب و الملائكة تقدم ـ قول السلف في الصفات ـ وأن الواجب على المؤمن إمرارها واعتقادها من غير تأويل ولا تعطيل فهٰذه صفة لله عز وجل قد نسبها لنفسه فقال سبحانه: ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾ (الفجر/ ٢٢). فنحن نقول أن الله عز وجل يأتي كما يليق بجلاله وعظمته.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة**﴾ (البقرة/ ٢١٠).

(١) مختصر العلو/ ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) مختصر العلو/ ١٩٥.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ـ فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها ؛ وقال رحمه الله : ولو لم يتصف الله تعالى بالنزول والمجيء والإتيان وغير ذلك من صفات الأفعال التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ ، لكان من يتصف بذلك من خلقه أكمل منه وأتم، ولا يقول بهذا أحد، وفي القاعدة الكلامية المشهورة : أن كل كمال ثبت لمخلوق من غير أن يستلزم نقصاً بوجه من الوجوه فالخالق تبارك وتعالى أولى به من كل مخلوق. وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق سبحانه وتعالى أولى بتنزهه عنه من كل موجود[١] .

وكذلك صفة النزول هي من صفات الله تعالى حقيقة لا مجاز فهو تعالى ينزل ويجيء ويأتي على ما يليق بجلاله. وهي صفة ككل صفات الله عز وجل نقطع الطمع بإدراك كيفيتها.

وأما صفة الوجه واليد والأصابع ، فهي صفات حق أخبر الله عز وجل عنها في كتابه، وأخبر رسوله ﷺ عنها في كلامه والقول فيها كالقول بباقي الصفات.

(١) موافقة صريح المعقول ٢/ ١١٩.




# البيجوري وأول واجب على المكلف

يقول البيجوري بعد أن ذكر أول الواجبات وأن فيها الخلاف، ويوصل الأقوال إلى اثني عشر قولاً. قال والأصح أن أول واجب مقصداً: المعرفة. وأول واجب وسيلة قريبة: النظر، ووسيلة بعيدة: القصد إلى النظر[١].

إذاً فأول واجب على المكلفين عند البيجوري هو القصد إلى النظر، لأن الوسيلة قبل الغاية، والوسيلة تبدأ من البعيد قبل القريب. ويفسر البيجوري النظر بقوله: -

والنظر - لغة - الإبصار: أي إدراك الشيء بحاسة البصر والفكر: أي حركة النفس في المعقولات، وأما في المحسوسات فتخيل، وعلم من ذلك أن النظر مشترك بين الابصار والفكر، والمراد منه هنا الثاني وهو الفكر[٢].

إذاً فالقصد إلى النظر: هو القدرة على التعبير عن وجود الله (فقط) باصطلاح المتكلمين من الأدلة المنطقية التي ورثها بعض أهل الإسلام من نفايات أهل اليونان.

ويقصد بالمعرفة: - اعتقاد وجود الصانع وليس المراد بها التوحيد كما يتبادر إلى الأذهان. ودليل ذلك قول البيجوري: وحاصله أن تقول: نفسي

(١) الشرح/ ٣٨.
(٢) الشرح/ ٣٨.

ملزومة لصفات حادثة، وكل ملزوم لصفات حادثة فهو حادث، وكل حادث لا بد له من صانع حكيم واجب الوجود موصوف بالصفات[1].

فإذا علمت هٰذا تستطيع أن تحكم على حكمه بأن أول واجب هو النظر، أو القصد إلى النظر، أو المعرفة أن هٰذا ليس من الإسلام في شيء، بل حين تعرض إيمان رسول الله ﷺ وإيمان أصحابه وهم أكمل الناس إيماناً بعد الأنبياء مع هذه القاعدة الباطلة، والحكم الجائر الذي جعل المسلمين وأئمتهم دهوراً طويلة مشغولين بمباحث فلسفية أغنى الله المسلمين عنها ورحمهم حين أنزل لهم ما يصلحهم تمام الصلاح من كتاب قويم ونسة هدى نيره، تجد أن عقائدهم في طريق، وهم في طريق آخر.

ولو مررنا إلى هذين المأخذين ـ كتاب وسنة ـ لنرى ما هو أول واجب على المكلف، وما هو أول أمر دعا رسول الله ﷺ الناس إليه، لرأيناه يغاير كل المغايرة ما دعا البيجوري الناس إليه.

قال تعالى: ﴿ **لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلٰه غيره** ﴾ (الأعراف/ ٥٩).

وقال تعالى: ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إلٰه غيره** ﴾ (الأعراف/ ٦٥).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ (النحل/ ٣٦).

وقال تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلٰه إلا أنا فاعبدون** ﴾ (الأنبياء/ ٢٥).

إجماع الأنبياء أنهم ما أتوا بالنظر ولا بالقصد بل جاؤوا بالتوحيد وعبادة الله وحده واجتناب ما عبدوا من دون الله، ومعهم في ذلك

---

(١) الشرح/ ٣٩.

خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ حين قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أنّ لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله» متفق عليه.

فهذه النصوص الصريحة والواضحة جلية المراد في دلالتها الأكيدة على أن أول واجب على المكلف هو: شهادة أن لا إلّه إلا الله.

قال شارح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي: أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول واجب يؤمر به العبد الشهادتان ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر تجديد ذلك عقيب بلوغه بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذٍ بتجديد الشهادتين وإن كان الإقرار بالشهادتين واجباً باتفاق المسلمين ووجوبه يسبق وجوب الصلاة لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك[1].

فالتوحيد هو أول واجب وكذلك هو آخر واجب.

قال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إلّه إلا الله دخل الجنة»، رواه الحاكم وغيره.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية/ ٧٥.




# البيجوري قَبُورياً

لعل المسلم الواعي المتفهم لأبجديات عقيدته فحسب، يدرك أن أصل عقيدته وأساسها يكمن في أن العبادة لا تصرف إلا لله وحده، وأن الله عز وجل هو المستحق للعبادة، وهذا هو المتبادر الأول لذهن المؤمن حين ينطق بلا إلّه إلا الله، وهو يعلم كذلك أن صرف العبادة لغير الله إنما هو شرك في ألوهية الإلّه الحق سبحانه وتعالى. فهل البيجوري حين يقرر عقائد التوحيد كما يزعم يفهم هذه الأبجدية ويعي حقيقتها.

يقول البيجوري: ـ ولذا قيل: من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق. وقال الشعراني: ذكر لي بعض المشايخ أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج، وتارة يخرج الولي منَ قبره فيقضيها بنفسه[1].

هٰذا التقرير العجيب في باب إثبات كرامات الأولياء وتحت شرحه لقول الناظم اللقاني:

وأثبتن للأوليا الكرامة ومن نفاها إنبذن كلامه

أقول هٰذا التقرير العجيب ماذا يحمل في طياته. هل هو إثبات كرامات الأولياء التي لا ينكرها من أهل السنة أحد أم هو أمر آخر؟

(١) شرح الجوهرة/ ١٥٣.

الناظر فيه بتمعن يدرك الدعوة الصارخة للإلتجاء إلى القبور لقضاء الحوائج لأن الولي يقضي الحوائج أو الملك الموكل بقبره.

طامة عظمى ودعوة جاهلية في كتاب التوحيد من أجل الإشراك بالله سبحانه وتعالى.

ومن أجل بيان أجلى في شرح مفهوم العبادة، وخاصة الدعاء، وأنه لا ينبغي صرفه إلا الله تعالى، وصرفه إلى غيره شرك بالعبادة. نقول وبالله التوفيق:

إن الله عز وجل هو الذي خلق الخلق وهو الذي له حق الأمر وحده. قال سبحانه وتعالى: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** وخروج الناس عن أمره سبحانه وتعالى إنما هو معصية كبيرة لهذا الإله العظيم. ولذلك جعل سبحانه وتعالى أوامره من أجل إحقاق الحق وصرف العبادة له وحده. والعبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة[1].

ومع هذا البيان لمعاني العبادة، لا بد أن نعلم أن العبادة المقبولة عند الله تعالى لا بد لها من شروط، وإلا كانت العبادة باطلة وكانت وبالاً على صاحبها.

وهذه الشروط أجمع علماء الإسلام عليها وهي واضحة جلية في الكتاب والسنة.

(١) العبودية ص ٣٨.

أجلى هذه الشروط وأعمقها وأهمها : -

أن لا تعبد إلا الله ، ولا تعبد الله بما شرع .

فأن لا تعبد إلا الله تحقيق لمعنى التوحيد بشقه الأول وهو: أن لا إله إلا الله ، ولا تعبد الله إلا بما شرح تحقيق لمعنى محمد رسول الله .

فلا عبادة إلا بنية ، ولا عبادة إلا بنص .

فمن صرف عبادته لغير الله فقد أشرك ، ومن عبد الله بغير ما شرع فقد ابتدع .

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية : -

جماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله ، ولا نعبده إلا بما شرع ، لا نعبده بالبدع . كما قال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ (الكهف ١١٠) . وذلك تحقيق الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله .

ففي الأولى: أن لا نعبد إلا الله . وفي الثانية : أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره . وقد بيَّن لنا ما نعبد الله به ، ونهانا عن محدثات الأمور ، وأخبر أنها ضلالة . قال تعالى : ﴿ **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ (البقرة/ ١١٢) .

وكما أننا مأمورون ألا نخاف إلا الله ، ولا نتوكل إلا على الله ، ولا نرغب إلا إلى الله ، ولا نستعين إلا بالله ، وألا تكون عبادتنا إلا لله ، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ، ونتأسى به . فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه[١] .

---

(١) العبودية ١٧٠/ ١٧١ .

بعد هذا البيان المقتضب لمفهوم العبادة لا بد أن نعلم أن من أعظم العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله هو الدعاء، وأن صرفه لغيره سبحانه وتعالى شرك يحبط الأعمال ودندنة لخلع ربقة الإسلام من عنقه.

وقد أمر سبحانه وتعالى أن لا ندعو إلا إياه.

قال جل وعلا: ـ ﴿**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك**﴾ (يونس/ ١٠٦).

وقال تعالى: ﴿**ولا تدع مع الله إلَهاً آخر لا إلَه إلا هو**﴾ (القصص/ ٨٨).

وجعل سبحانه وتعالى دعاء غيره عبادة له وشرك بالله تعالى: ـ

قال سبحانه وتعالى: ـ ﴿**قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض**﴾ (الأحقاف/ ٤).

وقال سبحانه: ـ ﴿**قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض**﴾ (فاطر/ ٤٠).

وقال جل وعلا: ـ ﴿**قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله**﴾ (الأنعام/ ٥٦).

وقال سبحانه: ـ ﴿**حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلُّوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين**﴾ (الأعراف/ ٣٧).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير. إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئُك مثل خبير**﴾ (فاطر/ ١٣/ ١٤).

فهذه الآيات وأمثالها في كتاب الله العزيز كثيرة تبين لنا بوضوح أن من دعا غير الله من قبر أو وثن إنما هو مشرك بالله رب العالمين.

قال ابن كثير في بيان الآية ٣٧ من سورة الأعراف المتقدمة: يخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت وقبض أرواحهم إلى النار يقولون لهم: أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله ادعوهم يخلصوكم مما أنتم فيه[1].

وأما الأحاديث فكثيرة وأبينها قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» فهذا الحديث جلي واضح أن دعاء غير الله عبادة لغير الله، لأن الدعاء عبادة فكل من دعا غير الله سبحانه وتعالى فقد وقع في الشرك الأكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ـ والذين يزورون قبور الأنبياء والصالحين ويحجون إليها ليدعوهم ويسألوهم أو ليعبدوهم ويدعوهم من دون الله هم مشركون[2].

وقال في موطن آخر من الكتاب (ص ٥٦): ـ وهؤلاء الذين يعتقدون أن القبور تنفعهم وتدفع البلاء عنهم قد اتخذوها أوثاناً من دون الله وصاروا يظنون فيها ما يظنه أهل الأوثان في أوثانهم فإنهم كانوا يرجونها ويخافونها ويظنون أنها تنفع وتضر.

وقد يقول جاهل متعالم إننا لو دعونا صاحب القبر إنما نحن نعتقد أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله ولكن نحن ندعوه بقولنا يا مدد أو بقولنا مدد يا رسول الله أو يا باز أو يا (أبو العلمين). إنما لنتقرب بذلك إلى الله بمن يحبهم من أوليائه ورسله، أي بمعنى: نتخذهم واسطة لعظم قدرهم وجاههم عند الله.

---

(١) ابن كثير ٣/ ١٦٤.

(٢) الرد على الأخنائي / ٥٢.

فتقول وبالله التوفيق: ـ إن هٰذا هو شرك العبادة، وهو من جنس شرك الجاهليين الذين بعث رسول الله إليهم ليدعوهم إلى التوحيد والإيمان.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ (يونس/ ١٨).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ (الزمر/ ٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ـ والمقصود هنا أن هؤلاء المشركين الذين يجعلون أصحاب القبور وسائط يشركون بهم كما يشرك أصحاب الأوثان بأوثانهم، يدعونهم ويستشفعون بهم ويرجونهم ويخافونهم وقد جعلوهم أنداداً يحبونهم كحب الله، هم الذين يقولون لمن نهى عن هذا الشرك وأمر بعبادة الله وحده إنه تنقّصهم وعاداهم وعاندهم. كما يزعم النصارى أن من جعل المسيح عبداً لله ولا يملك ضراً ولا نفعاً إنه قد تنقص المسيح وعاداه وسبه وعانده[1].

وبعد هٰذا نرى ضلال البيجوري وأمثاله واضح ودعوة صريحة إلى الإشراك بالله في كتاب موسوم أنه لب التوحيد وجوهرة فإلى الله المشتكى.

وكذلك مما نهى الله عنه هو أن يتحرى المسلم الدعاء في أماكن القبور ظاناً أن هٰذا أرجى لدعائه وأدعى لقبوله ولذلك نهى رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة اتخاذ القبور مساجد يصلى عندها ويدعى الله فيها ومن هذه الأحاديث: ـ

١ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قالت: فلولا ذاك

---

(١) الرد على الأخنائي/ ٦٢.

أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً[1].

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله قال: قال رسو الله ﷺ: ـ قاتل الله اليهود اتخذوا قبوز أنبيائهم مساجد[2].

٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية ـ وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة ـ فذكرن من حسنها وتصاويرها قالت: فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة[3].

٤ ـ عن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد[4].

فهذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث الكثيرة تبين ضلال من قصد القبر للتبرك والدعاء والصلاة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ـ فمن قصد بقعة يرجوا الخير بقصدها ـ ولم يستحب الشارع قصدها ـ فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها قصدها ليصلي عندها، أو ليعدو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله عندها، أو لينسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به لا نوعاً ولا عيناً إلا أن ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها كمن يزورها ويسلم عليها ويسأل الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٩٢/ ٢) وابن حبان (٣٤٠/ ٣٤١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم إسناده جيد.

العافية له وللموتى كما جاءت به السنة وأما تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره فهذا هو المنهي عنه. ا. هـ[1].

وقال رحمه الله تعالى: ـ والمقصود أن ما سنه لأمته غير النوع الذي يقصده أهل البدع من السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فإنهم (أي أهل البدع) لا يسافرون لأجل ما شرع من الدعاء لهم والإستغفار بل لأجل دعائهم والدعاء بهم والإستشفاع بهم، فيتخذون قبور أنبيائهم مساجد وأوثاناً وعيداً يجتمعون فيه[2].

---

(١) نقلاً عن فتح المجيد/ ٢٥١.

(٢) الرد على الأخنائي/ ١١.




## البيجوري و والدي النبي ﷺ

مما يقرره الباجوري هو أن والدي النبي ﷺ في الجنة، وأن الله أحياهما فدعاهما رسول الله ﷺ فآمنا ثم ماتا. وكم تمنينا أن يكون أدب البيجوري مع رسول الله ﷺ على وجهه الصحيح، وهو إعمال نصوصه والأدب مع العقيدة في تقرير نصوصها هو كمال الأدب مع رسول الله ﷺ، وهذه المسألة هي ككل مسائل العقيدة التي لا يجوز الخوض فيها من قبل الرأي والهوى، بل لا بد من النص والأثر الصحيح. وقبل أن نخوض بذكر النصوص علينا أن لا نلتفت لقول البيجوري أن حديث الآحاد لا يؤخذ به في العقائد، فقد قدمنا وجه الحق عند السلف في هذه المسألة، وهو أن حديث الآحاد يفيد العلم والعمل فكما أنه يؤخذ به في الأحكام فكذلك العقائد هي أولى به.

يقول البيجوري: ـ إذا علمت أن أهل الفترة ناجون على الراجح علمت أن أبويه ﷺ ناجيان لكونهما من أهل الفترة، بل جميع آبائه ﷺ وأمهاته ناجون ومحكوم بإيمانهم لم يدخلهم كفر ولا رجس ولا عيب ولا شيء مما كان عليه الجاهلية[1].

وقال كذلك: ـ وحديث أن بعض الصحابة سأله ﷺ وهو يخطب فقال: أين أبي؟ فقال: في النار. أجيب بأن أحاديثهم أحاديث آحاد[2].

(١) الجوهرة ص ٢٩.

(٢) الجوهرة ص ٢٩.

وقال: والحق الذي نلقى الله عليه أن أبويه ﷺ ناجيان[1].

أما مناقشة البيجوري في تصحيح حديث إحياء أبوي النبي ﷺ بطريق الكشف فهذه مسألة أخرى أفردنا لها باباً خاصاً في كتابنا.

والآن دعونا من مخاريق البيجوري وأمثاله ومن ظلمات رأيه إلى نور حديث رسول الله ﷺ ليكشف لنا الحقيقة واضحة جلية.

١ ـ عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار. فلما قضى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار[2].

حديث صحيح صريح في مقام والد رسول الله ﷺ وأين هو. والسؤال الآن هل البيجوري وأمثاله أكثر أدباً من رسول الله ﷺ مع والديه؟ أم أنه يتألى على الله سبحانه وتعالى فيما ليس له علم؟ في أي مقام وصفوا أنفسهم لن يخرجوا من مخالفة صريحة لنص الهدى من قول رسول الله ﷺ هذا بالنسبة لوالده فما الأمر بالنسبة لأمه: ـ

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربي في أن استغفر لها فلما يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر بالآخرة[3].

٢ ـ عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة. فقال رسول الله ﷺ: يا عم، قل لا إلّه إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة

---

(١) الجوهرة ص ٣٠.

(٢) رواه مسلم ١/ ٢٠٣.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنائز، حديث ١٠٨.

حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إلّه إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : أما والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك . فأنزل الله عز وجل «**ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**» (٩/ التوبة/ الآية ١١٣) وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ : ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**﴾[1] (٢٨/ القصص/ آية ٥٦) .

هٰذان حديثان صحيحان فيهما الحكم الصحيح في مقام أم النبي ﷺ ، وأين هي . ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه إستئذان النبي ﷺ في أن يستغفر لها فلم يؤذن له ، وحديث المسيَّب يبين من هم الذين نهى الله تعالى أن يستغفر لهم : (إنهم المشركون) ﴿**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى**﴾ إذاً أم النبي ﷺ مشركة وماتت على ذلك ، وليس لرسول الله ﷺ أن يستغفر لها ، والمشرك ليس له مقام في الآخرة إلا النار .

وبكاء النبي ﷺ فيه إشارة لتأكيد هٰذا المعنى الصريح في مقامها ، وأما زيارة قبرها ، فزيارة قبور المشركين معلوم أنها جائزة عند عامة أهل الفقه ، لأن زيارتهم إنما هي تحصيل لعلة الزيارة وهي : «فإنها تذكر بالآخرة» وإن كان زيارة قبور المؤمنين إنما هي تحصيل لفائدة أخرى وهي الدعاء والاستغفار لهم كما كان يفعل رسول الله ﷺ عند زيارته لأهل البقيع رضوان الله عليهم أجمعين .

أما احتجاجه (البيجوري) بأن أبوي النبي ﷺ ناجيان لأنهما أهل فترة ، فليس لأحد أن يقعد القواعد ويؤصل الأصول ليصادم بها النصوص ،

---

(١) مسلم ١/ ٢٤ .

فهدي رسول الله أحق الإتباع، والنصوص التي رأيناها صريحة في أمرهما يجب الإيمان بها والاعتقاد بما فيها، وقد يقول قائل: أن الحكم بأن أبوي النبي ﷺ في النار إنما فيه سوء أدب مع رسول الله ﷺ والجواب على هذا من وجوه: -

١ - إن الأدب مع رسول الله ﷺ هو إتباع أمره، واعتقاد ما أخبر به، وسوء الأدب هو إجتناب هديه ومصادمة قوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ (الحجرات/ ١).

٢ - إن القول بنجاة والدي النبي ﷺ هو هدم صريح لقاعدة من قواعد الاعتقاد، وهو أن الإيمان هو الشرط الأول لدخول الجنة وغير ذلك إنما هو من تلبيس الشياطين، فمجرد النسبة العرقية لوالدي النبي ﷺ، وإنها هي مفتاح للجنة، تقوّل على الله بغير علم، وهدم لقاعدة الاعتقاد التي قدمنا.

٣ - لقد جر هٰذا الاعتقاد البيجوري وأمثاله إلى الحكم بنجاة كل أصول النبي ﷺ أبويه وما على من أجداده من جهة أمه وأبيه، ولذلك قال: «بل جميع آبائه ﷺ وأمهاته ناجون ومحكوم بإيمانهم» ولو رجعنا إلى حديث المسيِّب السابق، لرأينا فساد هٰذا القول وضلاله فما الذي جعل النبي ﷺ يشدد على أبي طالب في طلب إسلامه عندما قال له المشركون: «أترغب عن ملة عبد المطلب»؟ فلو كان عبد المطلب «وهو جد النبي ﷺ) مؤمناً لسكت رسول الله ﷺ وعلم أن المشركين إنما يطلبون ما يطلب، ولكنه لم يزل رسول الله ﷺ يعرض التوحيد على أبي طالب ويعيد له مقالته بقوله: «قل لا إلٰه إلا الله» فدل أن ملة عبد المطلب هي غير ملة أهل لا إلٰه إلا الله.

وكذلك أين مقام أبي طالب بعد موته وقد ختم حياته بقوله: «هو على ملة عبد المطلب» قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه للنبي ﷺ: «ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك» قال: «هو في ضحضاح

من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» متفق عليه[1].

إذاً فمن مات على ملة جد النبي ﷺ فهو في الدرك الأسفل من النار فأين جد النبي ﷺ ؟!!

وتأكيداً لما قدمنا، فإن أقوال العلماء طافحة بهذه المسألة مبينة لها قال النووي (١/ ١١٤) في شرحه على صحيح مسلم: ـ فيه (حديث أبي في النار) أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين وفيه أن من مات من أهل الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار وليس هذا مؤاخذه قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم (ا. هـ).

ومما فيه صراحة لما قدمنا من أن مشركي العرب قبل بعثة النبي ﷺ ليسوا من أهل الفترة المشمولين بالعفو الإلّهي الصريح في قوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ (الإسراء/ ١٥). قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً. وأما الأحمق فيقول: رب قد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، والصبيان يحذفوني بالبعر. وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً. وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول. فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم: أن ادخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً[2].

قال أحمد: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود بن سريع به.

---

(١) اللؤلؤ والمرجان ٢/ ١٢٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده وابن حبان.

وبالإسناد عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة ومثله غير أنه قال في آخره: «فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها سحب إليها».

قال ابن كثير: وكذا رواه إسحق راهوية عم معاذ بن هشام ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد من حديث أحمد بن إسحق عن علي بن عبد الله المديني به وقال: هذا إسناد صحيح.

أقول مما يدل صراحه: على ما قدمنا: أن مشركي العرب قبل بعثة النبي ﷺ ليسوا مشمولين بالعفو الإلهي. حديث أنس أن النبي ﷺ مر بنخل لبني النجار فسمع صوتاً فقال: ما هذا. قالوا: قبر رجل دفن في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: لولا أن تدافنوا لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني[1].

فهذا الحديث يدل صراحة على عذاب قوم دفنوا قبل النبي ﷺ في الجاهلية فلو كانوا من أهل الفترة التي بينها حديث الأسود بن سريع لكانوا من الناجيين ويشهد له حديث زيد بن ثابت عند مسلم[2].

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٠٣– ٢٠١) وهو من ثلاثياته وعلى شرط الشيخين.

(٢) شرح النووي (٨/ ١٦٠– ١٦١).

قال أبو سعيد الخدري : ولم أشهده من النبي ﷺ ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال : «بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ـ شك الجريري شيخ ابن علية شيخ مسلم ـ فقال : من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل : أنا. قال : فمتى مات هؤلاء؟ قال : ماتوا في الإشراك . فقال : إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه . قال زيد : ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار. فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر. قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر. قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قالوا : نعوذ بالله من عذاب الفتن ما ظهر وما بطن . قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال. قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال». ا . هـ.

أما تصحيح حديث إحياء والدي النبي ﷺ عن طريق الكشف فهذا ضلال سنبينه في فصل مستقل كما قدمنا والحديث كما هو معلوم عند أهل الصناعة الحديثية موضوع وممن ذكر ذلك ابن الجوزي في كتابه الموضوعات.




# الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى وأحكامه

مما هو معلوم أن الأشعرية لا تثبت العلة في أفعال الله تعالى وهٰذا القول صار من معالم مذهبهم وكذلك هم لا يثبتون العلة في أحكامه سبحانه وتعالى قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ـ «قول من نفى الحكمة» . وقالوا : هذا يفضي إلى الحاجة ، فقالوا : يفعل ما يشاء لا لحكمه . . . ، فأثبتوا له المقدرة والمشيئة ، وأنه يفعل ما يشاء . وهذا تعظيم ، ونفوا الحكمة لظنهم أنها تستلزم الحاجة . وهذا قول الأشعري وأصحابه ومن وافقهم : كالقاضي أبي يعلى وابن الزاغوني والجويني والباجي ونحوهم ، وهٰذا القول في الأصل قول جهم بن صفوان ومن اتبعه من المجبرة . ا. هـ.[١] .

ولذلك هم ينفون لام التعليل في القرآن الكريم ويتمحلون في نفيها بشتى الأساليب والطرق .

قال البيجوري في قوله تعالى : **﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى﴾** قال : فإن قيل ظاهر الآية التعليل مع أن أفعال الله لا تعلل أجيب بجعل لامه للعاقبة والفائدة . . وقال : وأوهمت (الآية) تعليل فعله وقد علمت جوابه[٢] .

فلما خلت أفعال الله تعالى وأحكامه من الحكمة والعلة كما قالوا جوزوا على الله سبحانه وتعالى الشرور والظلم والإعراض عن الحق .

---

(١) الفتاوى ٨/ ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) الشرح ٦٩ .

قال البيجوري: ـ وبالجملة فهو سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية والكل بخلقه فليست الطاعة مستلزمة للثواب وليست المعصية مستلزمة للعقاب وإنما هما إمارتان تدلان على الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى حتى لو عكس دلالتهما بأن قال: من أطاعني عذبته ومن عصاني أثبته لكان ذلك منه حسنا. ا. هـ.[1]

وكما هو واضح أن هٰذا مذهب فاسد وهو خلاف مذهب السلف المعتمد على النصوص الشرعية من كلام الله وسنة النبي ﷺ.

وأصل هذه المسألة في الأصل يعود إلى الخلاف في التحسين والتقبيح هل هو شرعي أم عقلي؟

فالأشعرية ومن وافقهم يرون أن التحسين والتقبيح شرعي لا عقلي فهم يقولون إن الأمور بذواتها أصلاً لا تحمل قبحاً ولا حسناً إنما هي متساوية وإنما جاء الحسن والقبح من جهة الشرع فنكاح المحرمات ليس قبيحاً بذاته مثلاً إنما صار قبيحاً بعدما جاء الشرع بتحريمه فصار قبيحاً والصدق ليس حسناً لذاته إنما جاء له صفة الحسن بعدما حض الشرع عليه وأمر به وعلى هٰذا النظر وهذه القاعدة أجازوا أن يأمر الله بالكذب فبالأمر يصير الكذب حسناً وبالأمر يصير الصدق قبيحاً.

ويقولون كذلك: إنه يجوز أن يأمر الله بالشرك بالله وينهى عن عبادته وحده ويجوز أن يأمر بالظلم والفحش وينهى عن البر والتقوى والأحكام التي توصف بها الأحكام مجرد نسبة وإضافة فقط وليس المعروف في نفسه معروفاً عندهم ولا المنكر في نفسه منكراً عندهم بل إذا قال: (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) فحقيقة ذلك عندهم أنه

---

(١) شرح الجوهرة ١٠٨.

يأمرهم بما يأمرهم وينهاهم عما ينهاهم ويحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم[1].

قول السلف في التحسين والتقبيح: ـ

مع أن هٰذا القول مخالف للكتاب والسنة ولإجماع السلف والفقهاء هو مخالف للمعقول الصريح.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **إن الله لا يأمر بالفحشاء** ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾.

وقال تعالى: ـ ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض؟ أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾.

وبهذه الآيات يعلم أن العباد يعلمون بعقولهم حسن بعض الأفعال ويعلمون أن الله متصف بفعله ويعلمون قبح بعض الأفعال ويعلمون أن الله منزه عنه[2].

ولا يعني هٰذا أن العبد معاقب على إتيانه القبائح قبل ورود الشرع بها لأن هٰذا القول هو قول القائلين أن التحسين والتقبيح عقليين فهم يقولون أن العبيد معذبين على فعل القبائح والآثام قبل إتيان النذر وهٰذا مخالف للنصوص الشرعية الدالة على ذلك: ـ

قال تعالى: ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾.

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٨/ ٤٢٣.

(٢) منهاج السنة ١/ ١٢٤.

وقال تعالى: ﴿**وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون**﴾.

وقال تعالى: ﴿**كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنها ألم يأتكم نذير؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير. وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**﴾.

فمذهب السلف هو أنه قد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع: ـ

أحدها: أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسده، ولو لم يرد الشارع بذلك، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم، فهٰذا النوع هو حسن وقبيح، وقد يعلم بالعقل، والشرع قبّح ذلك لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن.

النوع الثاني: ـ إن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشاره.

النوع الثالث: ـ أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه! ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم ليذبح ابنه، فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح، وكذلك حديث أبرص وأقرع وأعمى، لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة، فلما أجاب الأعمى قال الملك: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم؛ فرضي عنك وسخط على صاحبيك.

فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به[1].

وبعد هٰذا العرض نعلم هل أفعال الله تعالى فيها الحكمة وتتضمن العلة أم

---

(١) الفتاوى ٨/ ٤٣٦.

لا؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجمهور أهل السنة على إثبات الحكمة والتعليل في أفعاله وأحكامه»[1].

فقد نزه الله نفسه فيها عن فعل ما لا يصلح له ولا ينبغي له فعلم أنه منزه مقدس عن فعل السوء والفعل المعيب المذموم كما أنه منزه مقدس عن وصف السوء والوصف المعيب المذموم وذلك كقوله تعالى: ﴿ **أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾ (المؤمنون/ ١١٥) فإنه نزه نفسه عن خلق الخلق عبثاً وأنكر على من حسب ذلك وهٰذا فعل. وقوله تعالى: ﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين**﴾[2] (القلم/ ٣٥).

أما قول البيجوري إن الطاعة ليست مستلزمة للثواب وليست المعصية مستلزمة للعقاب وإنما هما إمارتان تدلان على الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى ونحن إذا تأملنا آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ نرى أنه رتب دخول الجنة على القيام بالفرائض وأداء الواجبات وعمل الصالحات والتقرب إلى الله بالطاعات كما أوعد بدخول النار والعذاب فيها ومن تنكب طريق الهدى والرشاد ووقع في المعاصي والآثام وقصر في آداء الواجبات من ذلك: ـ

١ ـ قوله تعالى: ـ ﴿ **وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ (الزخرف/ ٧٢).

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**﴾ (النحل/ ٣٢).

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ **وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون**﴾ (الأعراف/ ١٨٠).

---

(١) منهاج السنة ١/ ١٢٦.
(٢) شرح الطحاوية/ ٤٥٠.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿**وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون**﴾ (السجدة/ ١٤).

٥ ـ قوله تعالى: ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً؟ لا يستوون. أمَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنَّات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون، وأمَّا الذي فسقوا فمأواهم النار**﴾ (السجدة/ ١٨ ـ ٢٠).

٦ ـ ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً، أأدخل الجنة؟ قال ﷺ: نعم.

وخلاصة مذهب السلف في التعليل: ـ أن الله عز وجل كثيراً ما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه أنه فعل كذا لكذا وهٰذا لهذا، قال تعالى: ﴿**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل للأمر بينهن لتعلموا أنَّ الله على كل شيء قدير وأنَّ الله قد أحاط بكل شيء علماً**﴾ (الطلاق/ ١٢).

وقال سبحانه: ﴿**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ (النساء/ ١٦٥).

وقال تعالى: ﴿**وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه**﴾ (البقرة/ ١٤٣).

فإن قيل اللام في هذا كله لام العاقبة كقوله تعالى: ﴿**فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا**﴾ (القصص/ ٨).

وقوله: ﴿**ولتصغى إليه أفئدة الذي لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون**﴾ (الأنعام/ ١١٣). وغير ذلك مما هو في القرآم كثير، فإن ما بعد اللام في هذا ليس من الغاية المطلوبة، ولكن لما كان الفعل

منتهياً إليه وكان عاقبة الفعل دخلت عليه لام التعليل وهي في الحقيقة لام العاقبة.

قلنا: إن لام العاقبة إنما تجيء في حق من لا يكون عالماً بعواقب الأمور ومصايرها، فيفعل الفعل الذي له عاقبة لا يعلمها كآل فرعون، فأما من كان بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، فلا يتصور منه أن يفعل فعلاً له عاقبة لا يعلمها، وإذا علم أن فعله له عاقبة فلا يقصد بفعله ما يعلم أنه لا يكون، فإن ذلك تمن وليس بإرادة.

فاللام الواردة في أفعال الله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة، وقد أجاب ابن القيم أيضاً على الإعتراض بجواب آخر بإمكان حمل ما احتجوا به على أن اللام للعاقبة بحمل ذلك على أنها لام التعليل[1]. وما يلزم نفاة التعليل: أنهم يقولون بأن الله تعالى أيَّد الرسل، وأصحبهم بالمعجزات الخارقة للعادة بإحالة الطبائع المخالفة لما بني عليه العالم، وذلك لا يكون إلا من الله تعالى فهو الفاعل لها اتفاقاً؛ وإنها لتصحيح صدق الرسل وصحة ما أتوا به من عند الله تعالى وهذا يخالف قولكم أن الله لا يفعل شيئاً لشيء وهذا باعترافكم أن الله فعل المعجزات لتصديق الرسل، وهذا تعليل لأفعال الله تعالى فثبت تناقضكم[2].

وقوله سبحانه: **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾** (الحشر/ ٧).

فقد أتى سبحانه وتعالى «بكي» وهي صريحة في التعليل. وقال ابن القيم في قوله تعالى راداً على الملائكة حين قال لهم: **﴿إني جاعل في**

(١) شفاء العليل / ٤٠٢ - ٤٠٧.

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٢٥٧.

**الأرض خليفة﴾**[1] فقال سبحانه: **﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾**[2] يقول ابن القيم: «لو كان فعله مجرداً عن الحكم والغايات والمصالح لكان الملائكة أعلم به إن سألوا هذا السؤال، ولم يصح جوابهم بتفرده بعلم ما لا يعلمونه من الحكم والمصالح التي في خلق هذه الخليقة، ولهذا كان سؤالهم إنما وقع عن وجه الحكمة، لم يكن اعتراضاً على الرب تعالى ولو قدر أنه على وجه الإعتراض فهو دليل على علمهم أنه لا يفعل شيئاً إلا لحكمه فلما رأوا أن خلق هذه الخليقة مناف للحكمة في الظاهر سألوه عن ذلك.

ومن هذا قوله تعالى: **﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله، الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾** (الأنعام/ ١٢٤) فأجابهم بأن حكمته وعلمه يأبي أن يضع رسالاته في غير محلها وعند غير أهلها ولو كان الأمر راجعاً إلى محض المشيئة لم يكن في هذا جواب بل كان الجواب أن أفعاله لا تعلل وهو يرجح مثلاً على مثل بغير مرجح والأمر عائد إلى مجرد القدرة كما يقوله المنكرون»[3].

أما قولهم أن من يفعل لعلة يكون مضطراً لا مختاراً فغير مسلمة بالنسبة إلى الله فالعلة التي يفعل لأجلها الله سبحانه ومعلولها من إيجاده ومن فعله باختياره فلم يوجب عليه أحد شيئاً. والمضطر من فرض عليه أن يعمل هذا العمل مثلاً لغرض أو لغير غرض والقول بأن من يفعل لغرض يكون مضطراً لا يتم إلا إذا كانت العلة التي فعل لأجلها اضطرته للفعل قهراً ـ والمجبر لا يكون إلّهاً ـ ولا يقول بهذا أحد حيث أنه هو الفاعل باختياره لعلة أرادها فهو الفاعل المختار يفعل ما يشاء لأراد لقضائه ولا معقب لحكمه[4].

---

(١) و (٢) البقرة/ ٣٠.

(٣) شفاء العليل ٤٢٧.

(٤) ابن حزم وموقفه من الإلّهيات ٤٦٠.




# الكسب عند الأشاعرة

مما هو معلوم عند أهل السنة قاطبة أن الله هو الذي خلق أفعال عباده وأنها مخلوقة خلقها الله تعالى في الفاعلين قال ابن تيمية رحمه الله: أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها، كما نص على ذلك سائر أئمة الأسلام: الإمام أحمد بن حنبل ومن قبله ومن بعده، حتى قال بعضهم: من قال إن أفعال العباد غير مخلوقة. فهو بمنزلة من قال: إن السماء والأرض غير مخلوقة[1].

وأدلة ذلك: ـ

١ ـ قال تعالى: ﴿**هل من خالق غير الله**﴾ (فاطر/ ٣) ودلالة الآية ظاهرة على نفي وجود خالق سواه.

٢ ـ قال تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**﴾ (الروم/٣٠). والآية دليل على أن الدين مخلوق لله عز وجل.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿**أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون**﴾ (النحل/ ١٧) فصح بنص الآية أن الله هو الخالق لا خالق سواه.

وقال تعالى: ﴿**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**﴾ (لقمان/ ١١) فالله خالق كل شيء وغيره مخلوق لا يستطيع الخلق، ولو كان

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٤٠٦.

هناك من يستطيع الخلق لأجاب المنكرون جواباً فيه: نعم نريك أفعالاً خلقناها من دونك.

٥ ـ قال تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ (الرعد/ ١٨ والزمر/ ٦٢) أي أن الله خالق كل شيء مخلوق، فدخلت أفعال العباد في عموم كل.

٦ ـ قال تعالى: ﴿أتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم وما تعملون﴾[١] فالله سبحانه هو خالق أفعالنا وإنما عملنا النحت.

فهذه الآيات وغيرها فيها الدلالة واضحة صريحة أن أفعال العباد مخلوقة من الله عز وجل.

ومع أن الأشاعرة أقروا مع أهل السنة أن الله خالق أفعال العباد، إلا أنهم افترقوا بنسبة الفعل إلى العبد. فعندما رأى الأشاعرة أن الجبرية وعلى رأسهم جهم بن صفوان قد ذهب إلى أن العبد مجبور على عمله من خير أو شر، وتنسب إليه الأعمال مجازاً كما تنسب إلى الجماد، والإنسان إنما يخالف الجماد في المظهر فقط، فكتب فلان أو قرأ فلان هي مجاز كما يقال: ماج البحر، وتحرك الجمل، وأثمرت الشجرة، ويترتب على هذا القول إبطال التكليف والثواب والعقاب على الأعمال، كما ينتج منه أن إرسال الرسل وأنزال الكتب عبث وهو مذهب باطل كما هو ظاهر عقلاً وشرعاً، فإنه لا يستساغ أن يعطي العامل أجر عمل لم يعمله باختياره حقيقة، وإنما ينسب إليه مجازاً من حيث الثواب، أما من حيث العقاب، فليس من العدل أن يعاقب العامل على خطيئة ارتكبها تحت الإجبار وبدون اختيار منه بل أتاه كمكره، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فيصبح إنذار الترغيب والترهيب وإنذار الرسل كلام لا معنى له ورأوا أن المعتزلة القدرية تقول إن العبد يخلق أفعاله بقدرته مستقلاً عن قدرة الله، ويريد ويدبر بإرادته الحرة قبل أن تتدخل إرادة

---

(١) الصافات/ ٩٥ ـ ٩٦.

الله في إرادته، فهم يقولون إن الإنسان هو الذي يقدر أفعاله ويوجدها، وجعلوا العباد خالقين مع الله سبحانه، وهو ما قدمنا بطلانه بالآيات السابقة.

فلما رأى الأشاعرة هذا الإفراط والتفريط أرادوا أن يأتوا بحل وسط بين الجبرية والقدرية، إلا أنهم لم يوفقوا كما لم يوفقوا في كثير من المسائل التوفيقية التي أرادوها فجعلوا مناط التكليف هو الكسب.

والكسب عند الأشاعرة لا معنى له محدد عندهم، فهم قد اختلفوا فيه وفي تعريفه أقوالاً شتى[1].

واعتبره أهل العلم قولاً لا حقيقة تحته ولا معنى له ولهذا قيل: -

مما يقال ولا حقيقة تحته ... معقولة تدنو من الإفهام
الكسب عند الأشعري والحال ... عند الهاشمي وطفرة النظام

ومدار الكسب عند الأشاعرة هو الإرادة التي تحصل عند الفعل، وهو الإقتران العادي بين القدرة الحادثة والفعل وأن الله سبحانه أجرى عادته بخلق أفعاله عند إرادة العبد.

قال صاحب شرح الجوهرة البيجوري: «وقد عرفوا الكسب بتعريفين، الأول: أنه ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به: أي ارتباط وتعلق أو إرادة. . . كالحركة متلبساً ومصحوباً به، من غير صحة كون القادر وهو العبد ينفرد بذلك المقدور، بل ومن غير صحة المشاركة، إذ لا تأثير منه بوجه ما، وإنما له مجرد المقارنة والخالق الحق منفرد بعموم التأثير.

الثاني: أنه ما يقع به المقدور في محل قدرته: أي ارتباط وتعلق، أو إرادة. . . كالحركة متلبساً ومصحوباً به، حال كون هذا المقدور في محل قدرته كاليد[2].

(١) انظر الروض الباسم ١/ ١٨ ـ ٢٥.
(٢) شرح الجوهرة/ ١٠٤.

فأنت ترى قول البيجوري: «إذ لا تأثير منه (أي العبد) بوجه ما» بل «ومن غير صحة مشاركة» كما في القول الأول فهٰذا القول هو عين قول الجبرية والقول الثاني جبرية ملفقة. فقولهم هو الجبر بعينه والخلاف بينهم وبين الجبرية خلاف لفظي وليس بجوهري ولذلك قال الرازي (وهو أشعري): إن الإنسان مجبور في صورة مختار وقال البغدادي: ضرب بعض أصحابنا للاكتساب مثلاً في الحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل ويقدر آخر على حمله منفرداً به إذا اجتمعا جميعاً على حمله كان حصول الحمل بأقواهما ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملاً كذلك العبد لا يقدر على الإنفراد بفعله ولو أراد الله الإنفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه ووجد مقدوره فوجوده في الحقيقة بقدرة الله تعالى ولا يخرج مع ذلك المكتسب من كونه فاعلاً وإن وجد الفعل بقدرة الله تعالى»[1].

فهٰذا المثل الصريح في أن العبد لا فعل له حقيقة إنما هو يقوم بالفعل بالصورة الظاهرة والحقيقة غير ذلك.

هٰذه هي عقيدة الأشاعرة ومنهم البيجوري في الكسب وحقيقته فما هو قول أهل السنة والجماعة: ـ

تحقيق المسألة: ـ

معنى الكسب لغة: ـ قال الجوهري الكسب هو الجمع وهو طلب الرزق وأما القرآن فقد استعمل الكسب على ثلاثة أوجه: ـ

١ ـ عقد القلب وعزمه: ـ مثل قوله تعالى: **﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾** (البقرة/ ٢٥٥) أي بما عزمتم عليه وعقدتموه كما ذكر في الآية الأخرى: **﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم**

(١) أصول الدين ١٣٣ ـ ١٣٤.

**الأيمان﴾** (المائدة/ ٨٩) أي عقدتم عليه العزم بالقصد والنية.

٢ - كسب المال من التجارة أو الزراعة أو الصناعة مثل قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾** (البقرة/ ٢٦٧).

٣ - السعي والعمل مثل قوله تعالى: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾** (البقرة/ ٢٧٦) وقوله تعالى: **﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾** وقوله تعالى: **﴿وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت﴾** (الأنعام/ ٧٠).

فالكسب في اللغة وفي استعمال القرآن يرجع إلى ما اكتسبه الإنسان من عمل القلب أو من عمل الجوارح وهو المعبر عنه بالاجتراح والعمل قال تعالى: **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾** (الجاثية/ ٢١).

فلفظ الكسب بهذا المعنى لفظ مبتدع لا يوافق اللغة ولا الشرع قال شيخ الإسلام ابن تيمية: - إن جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وقول كثير من أصحاب الأشعري كأبي إسحق الأسفراييني وإمام الحرمين وغيرهما أن العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدره واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبائع والأسباب ودل على ذلك الشرع والعقل من ذلك قوله تعالى: **﴿فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من الثمر﴾** (الأعراف/ ٥٧) ولم يقل فأخرجنا عنده ويقول فأحيا به الأرض ولم يقل أحيا عنده فدل ذلك على بطلان قولهم إن فعل العبد يوجد عندها لا بها[1].

وقد نطق القرآن بإثبات فعل العبد في كثير من الآيات «يعملون -

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٠/ ١٣٩.

يفعلو ن ـ يؤمنو ن ـ يكفرو ن ـ يتفكرو ن يحافظو ن ـ يتقو ن» .

ولتوضيح هذا نقول : ـ إذا قيل عن فعل «ما» إنه فعل الله تعالى ، أو فعل العبد، فيجب معرفة المقصود من هذا ، لأن في هذا القول إجمال فقد يراد الفعل نفسه ، وقد يراد مسمى المصدر .

فإذا أريد بالفعل الفعل الذي هو مسمى المصدر ، كصلاة الإنسان ، وصيامه ونحو هذا ، فالفعل هنا هو المفعول ، وهذا لا يقال عنه إنه فعل الله تعالى باتفاق المسلمين وبصريح العقل ، يقول تعالى : **﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾** (سبأ/ ١٣) فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ، ومن هذا الباب قوله تعالى : **﴿ والله خلقكم وما تعملون﴾** فإنه في أصح القولين أن «ما» بمعنى الذي والمراد به ما تنحتونه من الأصنام كما قال تعالى : **﴿ أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون﴾** (الصافات/ ٩٥ ـ ٩٦) أي والله خلقكم وخلق الأصنام التي تنحتونها ، فالعمل عملهم والله خالق الكل كما قال ﷺ : «إن الله خالق كل صانع وصنعته» وتكون فعل الله تعالى إذا أريد بها كونها مفعولة كسائر المخلوقات .

يوضح هذا : إنك إذا كتبت بالقلم مثلاً ، هل يكون القلم شريكك ، أو يضاف إليه شيء من نفس الفعل وصفاته؟ أم هل يصلح أن تلغي أثره وتقطع خبره وتجعل وجوده كعدمه؟ أم يقال به كتبت ـ ولله المثل الأعلى ـ فإن الأسباب بيد العبد ليست من فعله وهو محتاج إليها لا يتمكن إلا بها . والله سبحانه خلق الأسباب ومسبباتها ، وجعل خلق البعض شرطاً وسبباً في خلق غيره ، وهو مع ذلك غني عن الإشتراط والتسبب ، ونظم بعضها ببعض لكن الحكمة تتعلق بالأسباب وتعود إليها والله عزيز حكيم .

فعلى هذا فمشيئة العبد للخير والشر موجودة ، وله قدرة على هذا وهذا ، وهو العامل للخير والشر ، والله خالق ذلك كله وربه ومليكه لا خالق

غيره ولا رب سواه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد أثبت سبحانه مشيئته ومشيئة العبد، وبين أن مشيئة العبد تابعة لمشيئته سبحانه في قوله: ﴿ **إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً. وما تشاؤون إلا ما يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً** ﴾ (الإنسان/ ٢٩ ـ ٣٠). وقال: ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين. لمن يشاء منكم أن يستقيم. وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ (التكوير/ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩). وقال: ﴿ **فمن شاء ذكره. وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة** ﴾ (المدثر/ ٥٥ ـ ٥٦).

فمذهب السلف أن فعل العبد له حقيقة، وهو مخلوق لله، ومفعول له سبحانه، وليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق[1].

فهو سبحانه وتعالى أجل من أن يعذب عبداً على فعل فعله هو أجبره عليه.

وذلك يعني أن العبد يعمل بإرادته وقدرته واختياره، ولكنه هو وإرادته وقدرته والآلة التي استعملها بل وعقله كل ذلك مخلوق، فتضاف الأعمال إلى العبد حقيقة إضافة المسبب إلى السبب، لأن العبد بإرادته وقدرته هو سبب وجود تلك الأعمال، وقد جعل الله لكل شيء سبباً فهي تضاف إلى الله إضافة المخلوق إلى الخالق، هذه هي طريقة أهل السنة والجماعة.

قال تعالى: ـ ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ (الكهف/ ٢٩).

وقال سبحانه: ﴿ **ثم توفى كل نفس ما كسبت** ﴾ (البقرة/ ٢٨١ ـ آل عمران/ ١٦١).

وقال سبحانه: ﴿ **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.** ﴾ (البقرة/ ٢٨٦).

---

(١) بتصرف من ابن حزم وموقفه من الإلهيات/ ٤٢١ ـ ٤٢٣.

وقال سبحانه : ـ ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم** ﴾ (آل عمران ١٨٢) .

فهذه الآيات تفيد أن أفعال العبد تقع بإرادته ومشيئته واختياره . فأين هذه الآيات وقول الأشاعرة بكسبهم المزعوم وجبرهم المخفي المستور .




# الكشف عند البيجوري وطرفاً من وحدة الوجود

من المعلوم البدهي لدى المسلم أن لكل فن من الفنون مصادره، ولكل علم منه قواعد لا ينبغي التصرف فيها، وهذه القواعد ما وضعت في كل فن إلا حفاظاً عليه من الدخن الوارد عليه، ومن أجل تمييز حقائقه من أباطيله وبدون هذه القواعد يصبح الأمر فوضى لا ضابط له.

وإذا علم هذا فإن اطمئنان النفس وحديثها، وخيالات العقول، لا تصلح بحال من الأحوال ضابطاً يقوم به مقبول العلوم ومردودها، لأن أمزجة النفوس مختلفة، ورغائب القلب وهواه مضطرب لا استقرار له، وقد يحصل في النفس أمراً يكون خلاف الحق، ومن أجل هذا فمعلوم قطعاً أن عقائد المسلمين لا تؤخذ إلا من الوحيين الكتاب والسنة.

قال الإمام العلامة عبد الرحمن بن المعلمي اليمني: ـ مآخذ العقائد الإسلامية أربعة سلفيان وهما الفطرة والشرع وخلفيان وهما النظر العقلي المتعمق والكشف الصوفي.

أما الفطرة فأريد بها ما يعم الهداية الفطرية والشعور الفطري والقضايا التي يسميها أهل النظر ضروريات وبديهيات، والنظر العقلي العادي وأعني به ما يتيسر للأميين ونحوهم ممن لم يعرف علم الكلام ولا الفلسفة.

وأما الشرع فالكتاب والسنة.

وأما النظر العقلي المتعمق فيه فما يختص بعلم الكلام والفلسفة.

وأما الكشف التصوفي فمعروف عند أهله ومن يوافقهم عليه[1].

وقال رحمه الله تعالى بعد ذلك: وأما المأخذ الخلفي الثاني وهو الكشف التصوفي فقد مضى القرن الأول ولا يعرف المسلمون للتصوف اسماً ولا رسماً خلا أن كان منهم أفراداً صادقوا الحب لله تعالى والخشية له يحافظون على التقوى والورع على حسب ما ثبت في الكتاب والسنة فقد يبلغ أحدهم أن تظهر مزيته في استجابة الله عز وجل بعض دعائه أو عنايته به على ما يقل في العادة ويلقى الحكمة في الوعظ والنصيحة والترغيب في الخبر وإذا كان من أهل العلم ظهرت مزيته في فهم الكتاب والسنة فقد يفهم من الآية أو الحديث معنى صحيحاً إذا سمعه العلماء وتدبروا وجدوه حقاً ولكنهم كانوا غافلين عنه حتى نبههم ذلك العبد الصالح ثم جاء القرن الثاني فتوغل أفراد في العبادة والعزلة وكثر الصوم والسهر وقلة الأكل لعزة الحلال في نظرهم فجاوزوا ما كان عليه الحال في عهد النبي ﷺ فوقعوا في طرف من الرياضة فظهرت على بعضهم آثارها الطبيعية كالأخبار بأن فلاناً الغائب قد مات أو سيقدم وقت كذا.

ثم قال: ومن أول من مزج التصوف بالكلام الحارث المحاسبي ثم اشتد الأمر في الذين أخذوا عنه فمن بعدهم وكان من نتائج ذلك قضية الحلاج ولعله كان في أقران الحلاج من هو موافق له في الجملة بل لعل فيهم من هو أوغل منه إلا أنهم كانوا يتكتمون ودعا الحلاج إلى إظهار ما أظهره حب الرياسة وكذلك مزج الفلسفة بالتصوف كان معروفاً عن بعض الفلاسفة الأقدمين وتجد في كلام الفارابي وابن سينا نتفاً من ذلك وكذلك في كلام متفلسفي المغاربة كابن باجة وغيره وهكذا الباطنية كانوا ينتحلون التصوف

---

(١) القائد لتصحيح العقائد/ ٣٧.

فلما جاء الغزالي نصب التصوف منصب الكلام والفلسفة والباطنية وزعم أن الحق لا يعدو هذه الأربع مقالات وقضى ظاهراً للتصوف مع ذكره كغيره أن طائفة من المتصوفة ذهبوا إلى الإباحة المطلقة وفي ذلك نبذ الشرائع البتة ثم لم يزل الأمر يشتد حتى جاء ابن عربي وابن سبعين والتلمساني ومقالاتهم معروفة ومن تتبع ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة وأئمة التابعين وما يصرح به الكتاب والسنة وآثار السلف وأنعم النظر في ذلك ثم قارن ذلك بمقالات هؤلاء القوم علم يقيناً أنه لا يمكنه إن لم يغالط نفسه أن يصدق الشرع ويصدقهم معاً وإن غالط نفسه وغالطته فالتكذيب ثابت في قرارها ولا بد.

هذا والشرع يقضي بأن الكشف ليس مما يصلح الإستناد إليه في الدين ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات قال: الرؤيا الصالحة.

وورد نحوه من حديث جماعة من الصحابة ذكر في فتح الباري منها حديث ابن عباس عند مسلم وغيره وحديث أم كرز عند أحمد وابن خزيمة وابن حبان وحديث حذيفة بن أسيد عند أحمد والطبراني وحديث عائشة عند أحمد وحديث أنس عند أبي يعلي.

وفيه حجة على أنه لم يبق مما يناسب الوحي إلا الرؤيا اللهم إلا أن يكون بقي ما هو دون الرؤيا فلم يعتد به فدل ذلك على أن التحديث والإلهام والفراسة والكهانة والكشف كلها دون الرؤيا.

وقال: ـ قد تقدم أن الرؤيا قصاراها التبشير والتحذير وفي الصحيح: أن الرؤيا قد تكون حقاً وهي المعدودة من النبوة وقد تكون من الشيطان وقد تكون من حديث النفس والتميز مشكل ومع ذلك فالغالب أن تكون على خلاف الظاهر حتى في رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قص من ذلك

القرآن وثبت في الأحاديث الصحيحة ولهذه الأمور اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح للحجة وإنما هي تبشير وتنبيه وتصلح للإستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة كما ثبت عن ابن عباس أنه كان يقول بمتعة الحج لثبوتها عنده بالكتاب والسنة فرأى بعض أصحابه رؤيا توافق ذلك فاستبشر ابن عباس.

هذا حال الرؤيا فقس عليه حال الكشف إن كان في معناها فأما إن كان دونها فالأمر واضح وتجد في كلام المتصوفة أن الكشف قد يكون حقاً وقد يكون من الشيطان وقد يكون تخيلاً موافقاً لحديث النفس وصرحوا بأنه كثيراً ما يكشف للرجل بما يوافق رأيه حقاً كان أو باطلاً ولهذا تجد في المتصوفة من ينتسب إلى قول أهل الحديث ويزعم أنه يكشف له بصحة مذهبه وهكذا تجد فيهم الأشعري والمعتزلي والمتفلسف وغيرهم وكل يزعم أنه يكشف له بصحة مذهبه ومخالف منهم لا يكذبه ولكن يكذب كشفه وقد يكشف لأحدهم بما يوافق مقالات الفرقة التي ينتسب إليها وإن لم يكن قد عرف تلك المقالات من قبل كأنه لحسن ظنه بهم وحرصه على موافقتهم إنما تتجه همته إليهم فيقرأ أفكارهم وترتسم في مخيلته أحوالهم.

فالكشف إذاً تبع للهوى فغايته أن يؤيد الهوى ويرسخه في النفس ويحول بين صاحبه وبين الاعتبار والاستبصار فكأن الساعي في أن يحصل له الكشف إنما يسعى في أن يضله الله عز وجل ولا ريب أن من التمس الهدى من غير الصراط المستقيم مستحق أن يضله الله عز وجل وما يزعمه بعض غلاتهم من أن لهم علامات يميزون بها بين ما هو حق من الكشف وما هو باطل. دعوى فارغة إلا ما تقدم عن أبي سليمان الداراني وهو أن الحق ما شهد له الكتاب والسنة لكن المقصود الشهادة الصريحة التي يفهمها أهل العلم من الكتاب والسنة بالطريق التي كان يفهمها بها السلف الصالح.

فأما ما عرف عن المتصوفة من تحريف النصوص بما هو أشنع وأفظع من تحريف الباطنية فهذا لا يشهد لكشفهم بل يشهده عليه أوضح شهادة بأنه من أبطل الباطل.

أولاً لأن النصوص بدلالتها المعروفة حجة فإذا شهدت ببطلان قولهم علم أنه باطل.

ثانياً: ـ لأنهم يعترفون أن الكشف محتاج إلى شهادة الشرع فإن قبلوا من الكشف تأويل الشرع فالكشف شهد لنفسه فمن يشهد له على تأويله.

وأما التحديث والإلهام ففي (صحيح البخاري) وغيره من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر. وأحرجه مسلم من حديث أبي سلمة عن عائشة وفيه: فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم وجاء في عدة روايات تفسير التحديث بالإلهام.

وهذه سيرة عمر بين أيدينا لم يعرف عنه ولا عن أصدق أئمة الصحابة وعلمائهم استدلال بالتحديث والإلهام في القضايا الدينية بل كان يخفى عليهم الحكم فيسألون عنه فيخبرهم إنسان بخبر النبي ﷺ فيصيرون إليه وكانوا يقولون القول فيخبرهم إنسان عن النبي ﷺ بخلافه فيرجعون إليه.

وأما الفراسة فإن المتفرس يمكنه أن يشرح لغيره تلك الدلائل التي تنبه لها فإذا شرحها عرفت فإن كانت مما يعتد به عملت بها لا بالفراسة انتهى من القائد لتصحيح العقائد.

أقول: بعد هذه المقدمة التي تبين شيئاً عن حقيقة الكشف وأنه ليس من الدين في شيء ولا يصلح دليلاً لحقيقة علمية سنرى وضع البيجوري العجيب وأمره مع الكشف وإلى أي مدى عنده يصلح الكشف دليلاً لإثبات الحقائق العلمية.

يقول البيجوري: ـ بعد أن يذكر طرق النظر الموصلة للحقائق العقدية «ويقوم مقام ذلك ما لو عرف العقائد بالكشف»[1]. أي أن الكشف يوصلك إلى حقيقة العقائد الإيمانية مع العلم أنه لم يذكر شيئاً عن الكتاب والسنّة وأنهما يصلحان طريقاً للعقائد.

وهنا لا بد من تساؤل عن الكشف بأي شيء يحصل هل هو باستغراق صوفي ضال على طريق متصوفة الهند والعقائد الباطلة يحصل الكشف؟ أم بماذا؟ وخاصة إذا علمنا أن هذا الرجل السالك إلى حقيقة الكشف كما زعم ـ ليس لديه عقيدة سليمة حال سلوكه فهذه الأعمال التي توصله إلى الكشف بأي نية يقوم بها وبأي طريقة؟ جزماً سيكون الجواب أنه بغير نية صحيحة، وبغير عمل صالح، لأنه بعد لم يصل إلى العقائد الصحيحة كما يزعم.

ونتيجة لذلك، إلى أي عقيدة سيصل هذا السالك؟ قطعاً سيصل إلى عقيدة أبالسة الأرض منذ أن ذرأ الله ذرية آدم ألا وهي وحدة الوجود. وليس هذا تجنباً على البيجوري وأمثاله ممن يؤمنون بالكشف طريقاً يوصل إلى المعرفة، بل هو يصرح بذلك ويدين نفسه بنفسه.

يقول البيجوري: ـ فإن تصديق المقلد ليس كتصديق العارف بالدليل، وهو ليس كتصديق بعد المراقب وهو ليس كتصديق المشاهد، وهو ليس كتصديق المستغرق الذي لا يشاهد إلا الله[2].

هذه نهاية الكشف وهو أن لا يشاهد إلا الله. لا يرى في الوجود إلا الله لا خالق ولا مخلوق فالكل هو الله. العبد رب والرب عبد.

وإن أردت عبارة أصرح منها وأوضح من البيجوري، تكشف عن مؤدي كشفه فاقرأ: ـ فالتقليد (أي في المعرفة) للعوام، والعلم لأصحاب

(١) الجوهرة/ ٢٢.

(٢) الجوهرة/ ٥١.

الأدلة، والعيان لأهل المراقبة ويسمى مقام المراقبة، والحق للعارفين ويسمى مقام المشاهدة، والحقيقة للواقفين ويسمى مقام الفناء لأنهم يفنون عن غير الله ولا يشهدون إلا إياه، وأما حقيقة الحقيقة فهي للمرسلين، وقد منعنا الله من كشفها فلا سبيل إلى بيانها[1]. وحدة وجود بينة واضحة وطامات مستورة لا يستطيع (تستراً) بيانها، فسبحان الله العظيم إذا كان الكفر قد كشفه وبينه فما هو المستور الذي يخاف فضحه. وإذا كانت حقيقة الحقائق يخفيها عن المسلمين إذاً ما هذا الذي يعلمهم في شرحه جوهرة التوحيد هل هو باطن، هل هو الظاهر، وهناك من الباطن المستور، وقطعاً أنه يخالف الظاهر المنظور لديه.

لا يستطيع عالم منصف أن يمسح هذا السواد المظلم عن هذه الضلالات، أو أن يجد لها تأويلاً. وبعد هذا كله يكون هذا الشرح معتمداً لدى المسلمين في مدارسهم وفي حلقاتهم. هذا الكشف في العقائد. فهل الكشف عند البيجوري يصلح لأمر آخر؟.

يقول البيجوري: ولعل هذا الحديث «حديث إحياء والدي النبي ﷺ وإيمانهم ثم موتهما» صح عند أهل الحقيقة بطريق الكشف[2].

يا لضيعة جهود علماء الحديث وتعبهم في البحث عن الأسانيد وتجميعها، ويا لضيعة جهودهم في تحقيق هذه الأسانيد. لماذا أضاعوا أعمارهم؟ ولماذا شقوا على أنفسهم إذا كانت هذه العلوم والضوابط لا معنى لها عند البيجوري؟.

يجلس الصوفي في خلوة له مستغرقاً في وحدة الوجود، وبالكشف

---

(١) الجوهرة/ ٤٣.

(٢) الجوهرة/ ٣٠.

يخبرنا صحيح الحديث وضعيفه «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا».

أهذا هو العلم، أهكذا هو الإسلام الذي فهمه أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم. أهذا هو إسلام التابعين وأئمة المسلمين. وهذه هي عقائد المسلمين التي يعلمها البيجوري في شرحه للجوهرة.

والذي يجب علي أن لا أكتمه عن حقيقة الكشف بعد ذلك وأنه ضلال في ضلال بل هو الجنون بعينه أقول: ـ

إن الكشف هو عبارة عن أمور تحصل في نفس الشخص يظن أنها موجودة في الأعيان فيجزم بوقوعها وأنها حقيقة قائمة ولا يستطيع نفيها عنده أحد مهما تجمعت لديه الأدلة الأخرى على ضلال اعتقاده. كوحدة الوجود وحصول بعض المشاهدات لديه كادعائه أنه يرى الله وأن الله يكلمه أو أنه يجلس مع الرسول ﷺ ويتلقى من العلم ويصلي الفرائض وراءه وهي في الحقيقة تصورات ذهنية داخلية وخيالات نفسية شيطانية ليس لها واقع صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ـ والإتحاد والحلول باطل. وعلى قول من يقول به إنما هذا في الباطن والقلب، لا في الظاهر، فإن غاية ذلك ما تقوله النصارى في المسيح. ولم يقولوا إنّ أحداً رأى اللاهوت الباطن المتدرع بالناسوت. وهذا الغلط يقع كثيراً من السالكين. يقع لهم أشياء في بواطنهم فيظنونها في الخارج، في ذلك بمنزلة الغالطين من نظار المتفلسفة ونحوهم، حيث يتصورون أشياء بعقولهم كالكليات والمجردات ونحو ذلك فيظنونها ثابتة في الخارج، وإنما هي في نفوسهم؛ ولهذا يقول أبو القاسم السهيلي وغيره: ـ نعوذ بالله من قياس فلسفي، وخيال صوفي[1].

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٤٩١.

أي نستطيع أن نقول إن الكشف هو خيال جنوني داخلي يدعي الصوفي أنه به يحصل له علم اليقين في مسائل الاعتقاد وفي كثير من المسائل الشرعية وغيرها.

فنسأل الله العفو والعافية.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وعامّة هؤلاء إذا خوطبوا ببيان فساد قولهم قالوا من جنس قول النصارى هٰذا أمر فوق العقل ويقول بعضهم ما كان يقول التلمساني لشيخ أهل الوحدة يقول يثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل[1].

(١) الجواب الصحيح ٢/ ٩٢.




# البيجوري والتقليد

قال اللقاني :

ومالك وسائر الأئمة كذا أبو القاسم هداة الأمّة
فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم[1]

وأبو القاسم هو محمد الجنيد سيد الطائفة الصوفية .

والتقليد: هو العمل بقول الغير من غير حجة[2] إذاً فالناظم يريد منا ومن مجموع الأمة أن نقلد الأئمة الأربعة وكذلك نقلد الجنيد، فالأئمة الأربعة في المسائل الفقهية، والجنيد في التصوف[3] .

إن الناظر لهذه المسألة مع عرضها على نصوص السنة النبوية وأقوال الأئمة ، يرى فيها أن الحق في جانب يخالف الجانب الذي دعا إليه اللقاني ، لأن الله عز وجل قد تعبدنا بكتابه وبسنة رسوله ﷺ ، وقد منع كثير من الأئمة جواز التقليد بل قد ذكر بعضهم الإجماع على ذلك : ـ

قال عبدالله بن خويز منداد البصري المالكي : التقليد معناه في الشرع

(١) الشرح ١٥٠ .
(٢) إرشاد الفحول/ ٢٦٥ .
(٣) الشرح ١٥١ .

الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه وذلك ممنوع منه في الشريعة والإتباع ما ثبت عليه حجة[1].

وقد نهى الأئمة عن تقليدهم فينبغي متابعتهم فيما قالوا: -

١ - سئل أبو حنيفة: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لكتاب الله. فقيل: إذا كان خبر رسول الله ﷺ يخالفه. قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ. فقيل له: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة - رضي الله عنهم -[2].

٢ - قال عبد الله بن المبارك سمعت أبا حنيفة يقول: إذا جاء عن النبي ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن أصحاب رسول الله ﷺ نختار من قولهم، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم[3].

٣ - قال الشافعي: إذا قلت قولاً وكان عن النبي ﷺ خلافه فما يصح من حديث رسول الله ﷺ أولى فلا تقلدوني[4].

٤ - وقال رحمه الله: إذا صح خبر يخالف مذهبي فاتبعوه واعلموا أنه مذهبي.

٥ - وقال: - مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل، يحمل حزمة حطب، وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري[5].

٦ - وأما أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى فقال أبو داود: قلت

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٧.

(٢) إيقاظ همم أولي الأبصار ٥٠.

(٣) الإيقاظ ٧٠..

(٤) أعلام الموقعين ٢/ ٢٨٥. وإيقاظ همم أولي الأبصار/ ٥٠.

(٥) أعلام الموقعين ٢/ ٢١١.

لأحمد بن حنبل: الأوزاعي هو أتبع أم مالك ـ كأنه يريد أكثر أتباعاً من مالك ـ فقال: لا تقلد في دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير[1].

وقال أحمد أيضاً: لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا[2].

وقال رحمه الله: من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال[3].

وقال الشافعي: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد[4].

وقال: إذا صح الحديث على خلاف قولي فاضربوا قولي بالحائط واعملوا بحديث الضابط[5].

فهذه نصوص الأئمة وغيرها كثير تدل دلالة واضحة على أنهم قد الزموا بعض أتباعهم على ترك تقليدهم ويرون ذلك من قلة الفقه وأن الإتباع ـ إتباع الكتاب والسنة ـ هو سبيل أهل التدين من السلف والخلف.

أما قول الناظم بوجوب التقليد، فهو قول مدّعى يعوزه الدليل وينقصه البرهان.

أما احتجاج البيجوري بالآية الكريمة: ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ (النحل / ٤٣).

---

(١) مسائل الإمام أحمد لأبي داود (٢٧٦ ـ ٢٧٧)، إعلام الموقعين (٢/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).

(٢) أعلام الموقعين ٢/ ٢٠١ والأنصاف ١٠٥.

(٣) أعلام الموقعين ٢/ ٢٠١.

(٤) أعلام الموقعين ٢/ ٢٨٢، وإيقاظ أولي الأبصار (٥٨ ـ ١٠٣).

(٥) أعلام الموقعين ٢/ ٢٨٨ وإيقاظهم أولي الأبصار ٦٣.

فالجواب: إن الآية الكريمة التي سبقت قد أمر الله تعالى فيها من لا يعلم أن يسأل (أهل الذكر)، والذكر هو القرآن والسنة كما ذكره الله في قوله مخاطباً لنساء رسول الله ﷺ: ﴿ **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾ (الأحزاب/ ٣٤).

وآياته القرآن، والحكمة السنة.

وكما قال تعالى: ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ (الجمعة/ ٢).

فالأمر في الآية للجاهل أن يسأل أهل القرآن والحديث عنهما ليخبروه، فإذا أخبروه وجب عليه إتباع ما أخبره[١].

أما قول الناظم بوجوب تقليد الجنيد في التصوف، وهو كما شرحه البيجوري، فهو قول ساقط عجيب.

فالصوفية مذهب دخيل ليس من الإسلام في شيء، وهو ديانة مستقلة ليس لها وجه قربة مع الإسلام لا في أصولها ولا في فروعها، فهي لها عقائد خاصة بها، وأركان عبادات كذلك. وشرح هذا الأمر يطول جداً وعلى الأخ القاريء أن ينظر كتاب الأستاذ محمود قاسم: «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ» فهو كتاب فريد قد ملأه صاحبه بالنصوص الصوفية التي لا تترك لطالب الحق مناصّاً إلا الاعتراف أن الصوفية مذهب شركي ليس من الإسلام في شيء.

ومن آثار دعوة هذا الناظم أنه جعل على المسلمين جميعاً وجوب تقليد إمام معين لا يخرج عنه قيد أنملة، وكذلك عليه إتباع طريقة صوفية، ومن هنا صار مألوفاً أن ترى الرجل بعد أن يذكر إسمه وموطنه، يذكر مذهبه فهو

---

(١) إرشاد النقاد إلى تيسير الإجتهاد ١٦٩.

شافعي مثلاً أو حنفي، وهو بعد ذلك قادري أو شاذلي أو رفاعي من هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان. فالله سبحانه وتعالى قد سمانا بالمسلمين فهو الذي رضيه لنا فكيف لا نرضاه لأنفسنا.

فمن هنا صارت الأمة شيعاً وأحزاباً، وصار لهذه الشيع والفرق كتب علمية خاصة بها، وهي من الضلال بمكان. فعلى قول اللقاني بتقليد الجنيد أو أحد أتباعه من مشايخ التصوف، ماذا يصنع طالب العلم وهو يرى جملاً وعبارات شركية تنسب للجنيد وليس لطالب العلم إلا أن يسلم لها لوجوب تقليده كما أمر اللقاني والبيجوري.

فماذا يصنع طالب العلم بقول الجنيد: «المعرفة وجود جهلك عند قيام علمه. قيل له: زدنا. قال: هو العارف وهو المعروف»[1]. هل يقلده في هذا ولا يسأله عن أصل قوله أهو من كتاب وسنة أم هو دين وحدة الوجود؟.

وماذا يصنع طالب العلم بقول الجنيد: «لا يكون الصديق صديقاً حتى يشهد له في حقه سبعون صديقاً أنه زنديق»[2].

فماذا يصنع بهذه الطامات التي تنسب للجنيد أيسلم لها تقليداً أم يتبع الكتاب والسنة ويقول سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم.

إن القول بتقليد عالم أو رجل كائناً من كان هو امتهان لعقول البشر وسخرية بإنسانيتهم فلا ينبغي للمرء أن يسلم لأحد إلا رسول الله ﷺ.

قال الإمام الشافعي: «وأما أن يقلده فلم يجعل الله ذلك لأحد بعد رسول الله ﷺ»[3].

---

(١) التعرف/ ٦٦.

(٢) المناظر الإلهية للجيلي / ٤٤.

(٣) إرشاد الفحول ص ٢٦٥.




# ضلالات وطامات في شرح جوهرة التوحيد

من المضحكات المبكيات غرائب كثير من القصص التي يوردها البيجوري في شرحه وغرائب هذه القصص يكمن في أن هذه القصص فيها من الشطط والضلالات والدعوة إلى الجاهلية الشيء الكثير، والبيجوري يورد هذه القصص ليدلل بها على عقيدته وينصر بها دعوته. سيرى قاريء هذه القصص أو أمثلة منها كم أن البيجوري يحتقر عقل المرء المسلم الواعي وكم يحدث في عقل المتابع له من الضلالات والإعتقادات الباطلة الغريبة.

١ ـ يقول البيجوري عن موسى عليه السلام حين سمع كلام الله من غير صوت: «وقد أشرق وجهه من النور، فما رآه أحد إلا عمي فتبرقع وبقي البرقع على وجهه إلى أنْ مات»[1] ولعلك ستسأل أخي القاريء من أين للبيجوري هذا الخبر ومن أيِّ طريق استقاه؟ وسيجيبك أتباع البيجوري من الأشاعرة والصوفية: قد صح هذا عند أهل الحقيقة بطريق الكشف وما عليك إلا التسليم، ولا تعترض فتنطرد.

وكلنا نقول ألم يسمع رسول الله ﷺ كلام ربه حين أسري به؟ فلماذا لم يتبرقع رسول الله ﷺ كما فعل أخوه موسى من قبل كما زعموا؟

٢ ـ يقول البيجوري:

(١) الشرح/ ٧٤.

وحكي أن ابن الشجري كان يقرر في درسه قوله تعالى: ﴿**كل يوم هو في شأن**﴾ فسأل سائل وقال له: ما شأن ربك الآن. فأطرق رأسه وقام بمتحيراً فنام، فرأى النبي ﷺ فسأله عن ذلك فقال له ﷺ: السائل لك الخضر، فإذا أتاك في غدٍ وسألك فقل له شؤون يبديها ولا يبتديها يرفع أقواماً ويخفض آخرين. فلما أصبح، أتاه وسأله فأجابه بما ذكر فقال له: صلِّ على من علمك. ومشى مسرعاً.

في هذه القصة يقرر البيجوري عدّة أمور منها:ـ

١ ـ أن الخضر عليه السلام حي بين أظهرنا.

٢ ـ أن الخضر عليه السلام يعلم الغيب حتى ما يحدث معنا في مناماتنا «صلِّ على من علمك».

٣ ـ الرؤى والأحلام طريق من طرق تلقي العِلم.

وللجواب على هذه الأمور نقول: ـ

١ ـ أما أن الخضر عليه السلام حي فقول الله تعالى: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن متْ فهم الخالدون**﴾ (الأنبياء/ ٣٤) رد عليه ونافٍ له.

٢ ـ أما أن الخضر عليه السلام يعلم بالغيب فقال الله تعالى: ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾ (النمل/ ٦٥) وقوله تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه** أحداً﴾ (الجن/ ٢٦) أحق بالإتباع والاعتقاد.

٣ ـ أما أن الرؤى والأحلام طريق تلقي العلم فقول الله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ (المائدة/ ٣). بيان أوضح على أن العلم هو كتاب وسنّة.




# الخاتمة

بعد هذا الإستعراض المختصر لعقيدة البيجوري في شرحه لجوهرة التوحيد، هذا الكتاب الذي صار عمدة للحلقات العلمية الشرعية، ومصدراً للتدريس في بعض الجامعات والمعاهد الإسلامية، وصار التواصي؛ بين شيوخ الحلقات وتلامذتهم مع تبني بعض المؤسسات الشرعية الرسمية في بعض البلاد الإسلامية له ملزمين أتباعهم ومنتسبيهم دراسته على أنه يمثل أهل السنة والجماعة.

بعد هذا الإستعراض هل البيجوري في شرحه لجوهرة التوحيد يمثل أهل السنة والجماعة؟

لقد رأينا فيما سبق أن البيجوري وشرحه لا يمثل أهل السنة فهو يمثل مذهب بدعي ألا وهو العقيدة الأشعرية وقد جمعت هذه العقيدة عقائد وتصورات لمذاهب تكلم عليها أهل السنة من السلف الصالح وردوا عليها ردوداً مفصلة فقد رأينا أشعرية البيجوري قد جمعت الأرجاء في الإيمان والجبر في القدر وقول الجهمية في الأسماء والصفات وقول المعتزلة في خلق القرآن ونفي الحكمة والتعليل في أفعال الله وأحكامه فهل بعد هذا كله تكون أشعرية البيجوري هي معتقد أهل السنة والجماعة؟

إذا كانت الجبرية منفردة قد حملت لواءً به خرجت عن أهل السنة

وعدت فرقة بدعية ضالة، وإذا كانت المعتزلة منفردة قد حملت لواء القول بخلق القرآن وبه عدت فرقة بدعية ضالة وإذا كانت المرجئة منفردة قد حملت لواء (الإرجاء) به خرجت عن أهل السنة. إذا كانت كل فرقة من هذه الفرق مع قولها ببدعة منفردة قد خرجت من أن تكون ممثلة لأهل السنة والجماعة.

فكيف من حمل هذه العقائد جميعاً، هل يكون في عقيدته من أهل السنة والجماعة؟

الجواب قطعاً وبكل يقين هو النفي.

فأشعرية البيجوري وأمثاله ليسوا أهل سنة ولا جماعة بل هم مبتدعة في ضلال مبين.

هذا إذا اجتمع مع ما قدمنا أموراً لا تخفى على كل مسلم أنها من الشرك الأكبر والضلال المبين.

فقد تقدم حال البيجوري ودعوته لعبادة القبور وقوله بوحدة الوجود.

هذه التصورات جميعاً تجعلنا نجزم أن أهل السنة والجماعة في واد وأشعرية البيجوري وتلامذته ممن يدرسون الجوهرة معتقدين ما فيها وطالبين عقائدهم من مظانها في واد آخر.

إن ما يقوله البيجوري وأمثاله الأشاعرة هو قول فلاسفة اليونان والصابئة وعقائد الهندوس والزنادقة.

إن ما ألفه أسلافنا من كتب ما ألفوها إلا للرد على مثل ما يدعوا إليه البيجوري في عقيدته فالأئمة على مدار القرون الثلاثة الثاني والثالث والرابع قد نشطت أقلامهم في الرد على أهل البدع من سلف البيجوري وأمثاله: -
فقد ألف عبدالله بن المبارك (١٨١ هـ) وأبو سعيد يحيى بن سعيد القطان (١٩٨) وابن أبي شيبة (٢٢٥هـ) ونعيم بن حماد المروزي (٢٢٨ هـ)

وعبدالله بن محمد الجعفي شيخ البخاري (٢٢٩ هـ) وإسحق بن راهويه (٢٣٨ هـ) وأحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) ومحمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ) فهؤلاء وأمثالهم كتبوا المصنفات وألفوا الردود على أمثال البيجوري في عقيدته وكلهم قد أكدوا اعتماد الكتاب والسنة مصدراً وحيداً للعقيدة وطعنوا في عقول المبتدعة الواهية التي ظنوا ببدهيات عقولهم كما زعموا أنها تصادم النصوص الشرعية.

فعلى المسلم المتبع أن يوجه وجهته نحو المصادر اليقينية الصحيحة ليستقي منها عقيدته. الكتب التي تعتمد في أدلتها على كتاب الله وسنة النبي ﷺ فنسأل الله عز وجل حسن الإتباع ووقانا من شر الإبتداع.

فكل خير في إتباع من سلف    وكل شر في ابتداع من خلف

# المــراجـع

- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري - دار الكتاب العربي.
- ابن حزم وموقفه من الإلٓهيات للدكتور أحمد بن ناصر الحمد - جامعة أم القرى.
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية - لابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية.
- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي - منشورات دار الآفاق الجديدة.
- ألأدب المفرد - الإمام البخاري - باعتناء محمد هشام البرهاني.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول. الإمام الشوكاني - دار الفكر.
- الإستدلال بالظني في العقيدة - فتحي محمد سليم.
- أصل الإعتقاد - دراسة حديثية - لعمر الأشقر - الدار السلفية الطبعة الأولى.
- أصول الدين للبغدادي - استنبول.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - لمحمد الأمير الشنقيطي - الرئاسة العامة للبحوث العلمية - الإعتصام - للإمام الشاطبي - دار الفكر.
- علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين - رضا بن نعسان معطي - الطبعة الخامسة.
- الإعلام لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن قيم الجوزية - دار الجيل.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - ابن تيمية - تحقيق ناصر عبد الكريم العقل.

ـ الإنصاف في أسباب الإختلاف ـ لولي الله الدهلوي ـ مراجعة عبد الفتاح أبو غدة ـ دار النفائس.
ـ إيقاظ همم أولي الأبصار ـ للفلاني ـ دار نشر الكتب الإسلامية ـ باكستان.
ـ الإيمان ـ ابن تيمية ـ تلخيص حسين يوسف الغزال ـ دار إحياء العلوم.
ـ بدعة التعصب المذهبي ـ لمحمد عيد عباسي ـ المكتبة الإسلامية.
ـ تاريخ بغداد ـ للخطيب أحمد بن علي ـ المكتبة السلفية.
ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ـ ابن عساكر. طبعة دمشق.
ـ التعرف على مذهب أهل التصوف ـ للكلاباذي ـ لجنة نشر التراث الصوفي.
ـ تفسير ابن كثير ـ دار الفكر.
ـ التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ـ ابن خزيمة ـ تعليق هراس ـ دار الكتب العلمية.
ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ دار الفكر.
ـ جواب أهل العلم والإيمان ـ ابن تيمية.
ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ ابن تيمية ـ مطابع المجد التجارية.
ـ حلية الأولياء ـ لأبي نعيم الأصفهاني.
ـ الرد على الأخنائي ـ ابن تيمية ـ تحقيق عبد الرحمن المعلمي.
ـ الرد على الجهمية ـ الإمام الدارمي ـ تعليق بدر البدر ـ الدار السلفية.
ـ الرسالة ـ الإمام الشافعي ـ تحقيق أحمد شاكر.
ـ الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ـ للوزير اليماني ـ دار المعرفة.
ـ سنن ابن ماجة ـ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
ـ سنن الترمذي ـ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ـ دار الفكر.
ـ سنن الدارمي ـ دار الفكر
ـ سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشيته السندي ـ دار الفكر.

- سير أعلام النبلاء - الذهبي - مؤسسة الرسالة.
- شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز - المكتب الإسلامي.
- شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل - ابن قيم الجوزية - مكتبة دار التراث.
- صحيح ابن خزيمة - تحقيق الأعظمي.
- صحيح البخاري - دار إحياء التراث العربي.
- صحيح مسلم - ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر.
- طبقات الشافعية الكبرى - القاهرة.
- العقيدة في الله - عمر الأشقر - مكتبة الفلاح - الطبعة الخامسة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - دار الفكر.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
- في مجال العقيدة - عرض ونقد - غازي التوبة - مؤسسة الرسالة.
- القائد إلى تصحيح العقائد - عبد الرحمن بن يحيى المعلمي - المكتب الإسلامي.
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث - جمال الدين القاسمي - دار الكتب العلمية.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى - لمحمد صالح العثيمين - مكتبة الكوثر.
- لمعة الإعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد - ابن قدامة المقدسي - دار مصر.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - الهيثمي: مؤسسة المعارف.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد.
- مختصر العلو للعلي الغفار - الذهبي - الإلباني - المكتب الإسلامي.
- المستدرك على الصحيحين - للحاكم النيسابوري - دار الفكر.

- مسند أبي داود الطيالسي - دار المعرفة.
- مسند أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي.
- معارج القبول بشرح مسلم الوصول إلى علم الأصول - حافظ بن أحمد الحكمي - المطبعة السلفية.
- معالم في الطريق - سيد قطب - دار الشروق - الطبعة العاشرة.
- مفتاح الجنة في الإحتجاج بالسنة - السيوطي - الجامعة الإسلامية.
- مقالات الإسلاميين - الأشعري - نشر محيي الدين عبد الحميد.
- الملل والنحل للشهرستاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - دار المعرفة.
- مناقب الإمام أحمد بن حنبل - ابن الجوزي - دار الآفاق.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - ابن الجوزي - حيدر أباد.
- منهاج السنة النبوية - ابن تيمية - دار الكتب العلمية.
- منهاج ودراسات لآيات الأسماء والصفات - الشنقيطي - الجامعة الإسلامية.
- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول - ابن تيمية - مطبعة السنة المحمدية.
- النووي على مسلم - النووي - دار الفكر.
ومراجع أخرى تراها في طيات الكتاب.




# فهرس






| صفحة | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٧١ | ١٥ | أما قوله: ﴿...﴾ | تحذف المعكوفتين |
| ٩٩ | ٢٢ | يتنزل للأمر | يتنزل الأمر |
| ١٠٦ | ١١ | خلقكمما | خلقكم وما |
| ١٠٧ | ٣ | إلا ما يشاء الله | إلا أن يشاء الله |
| ١٠٧ | ٥ | لمن يشاء | لمن شاء |


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com




دَارُ الكُتُبِ الأثَرِيَّة
للتحقيق والنشر والتوزيع
تلفون ٩٩٣٨٢١ - ص.ب ٥٣٣٨
الزرقاء - الأردن